



لماذا اخترت الإسلام دينا

محمد فؤاد الهاشمي

الناشر :
دار الحرية

سر إسلامي

لماذا اخترت الإسلام دينا

محمد فؤاد الهاشمي

القس سابقا

ليت كل إنسان يقرأ هذا الكتاب ، مسلما كان أم غير مسلم ، فلن يندم على ذلك . يقول المؤلف : وجدت أنه من ألزم المستلزمات أن يكون بين يدى المسلم الذى يريد أن يجلو غوامض ما آلت إليه هذه الملل والنحل على يد كهنتها وقادتها الذين وضعوا المصباح تحت المكيال ٠ وأخضعوا الحقيقة تحت ظاهرة الاختفاء وراء ستار من الطقوس والأقانيم كتاب بقلم عبد من عباد الله آتاه الله هدى وعلما هون عليه ترك دين آبائه وأجداده يشرح فيه الدوافع التى دفعته للإيمان ، ويضمنه الأسباب التى زجت به فى معركة فكرية عاتية اقتلعته من براثن الشرك وأوحال الضلال فصيرته من رجل يضمر العداء للإسلام وأهله إلى مجاهد فى سبيل رفع كلمة الله ونصرة الإسلام ، وحولته من واقف يلصق بالإسلام وبنيه التهم الكاذبة إلى معتل المنابر فى موقف رسول الله صلى الث عليه وسلم يدعو الناس إلى التمسك بدينهم. والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم

الإهداء

الى روح النبى محمد الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم وهداهم إلى صراط مستقيم ٠
الى أرواح السلف الصالح من الصحابة والتابعين الذين أفنوا ذواتهم فى الله حتى كانت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ٠

الى روح أستاذى الذى كان سبب هدايتى إلى طريق الإيمان فضيلة المغفور له الشيخ يوسف الدجوى ٠
إلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ٠
الى كل من ساهم فى اخراج هذا الكتاب ٠
الى هؤلاء جميعا باسم الله وعلى بركة الله أهدى *سراسلامى* المؤلف محمد فؤاد الهاشمى.

تقديم الكتاب

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الدسوقى

ان البحث عن الحقيقة طريق القلوب الكبيرة والعقول المستنيرة ولولا ماقيض الله للبشرية عن رواد لهذه الحركات على مر العصور لضلت السبيل وتنكبت الجادة ٠
وما كان المصلحون وأصحاب الدعوات إلا هداة إلى هذه الحقيقة وحراسا عليها ، ولقد يقبل القول منهم ويرد ، ويفتح له أقوام قلوبهم ويقول آخرون قلوبنا غلف ، ولكن الذى لا مرية فيه أن الكون أجمع ناطق بخلود هذه الحقيقة وبقائها تتحدى قوى الباطل مهما عظمت وقويت وتسمو على ما فى الحياة من فضول ووهن ، حتى يكون لها الغلب ويفىء الباطل إلى رشده وتكون للحق الكلمة ولأعدائه الخذلان ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبطلون ٠
والكتاب الذى بين أيدينا لون فريد من ألوان البحث يروى قصة الصراع المرير بين نزعات متضادة لكل منها أنصار إلى أن يخلص إلى تجلية الحقيقة التى من أجلها ضحى صاحبه بجميع ما يعتز به الذين أخلدوا إلى الأرض واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ٠ مهاجرا إلى الله ورسوله إلى حيث الطمأنينة واليقين فى رحاب العقيدة الإسلامية المصفاة عقيدة التوحيد الخالص التى لها

عاش محمد بن عبد الله وصحبه ، وفى سبيلها جاهد حتى أتاه اليقين ٠
فإلى أولئك الذين استهوت أفئدتهم المبادىء الزائفة واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وران على قلوبهم ماكانوا يكسبون فضلوا على علم واتخذ كل منهم الهه هواه ٠
الى أولتك الذين تنكروا لكل المبادىء والقيم ولووا رءوسهم يصدون عن السبيل ويبغونها عوجا ، إلى كل أولئك نسوق قول الله سبحانه : * قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم * ، * ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا * ٠
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ٠

قيمة العقل فى اعتبار الإسلام

كلمة لفضيلة الآستاذ عبد الرحمن النجار
مدير عام المساجد

، من البدهيات التى لا يشك فى صدقها إنسان أن لفظة واحد ٠اذا أطلق ، لايدل على ان هناك مشاركا له فى العددية ، كما أن لفظ ثلاثة لايمكن أن يؤدى إلى واحد أبدا ٠ ٠ من هنا نستطيع أئ نقول : ان الإيمان بالوحدانية هو مقتضى العقل السليم ، لذلك تجد العقيدة الإسلامية عقيدة العقل والفكر والمنطق السليم فالدين الإسلامى دين عقلى ، واذا تصفحت القرآن ، وتلوت قدرا منه وجدت الآيات تلو الآيات تطلب إلى الإنسان أن يفكر ويتدبر ٠ وينظر ويتأمل ، وأن يعتبر ويستنبط وما إلى ذلك من أعمال العقل ووظائفه ٠
ولقد جعلت المعرفة فى الإسلام شرطا للإيمان ، فمن اعتقد من غير فهم ومعرفة لم يكن خيرا بكثير من غيره ، والاعتقاد الحق هو الذى ينشا عن دليل وعن فهم واختيار ، وليس

الموروث أو الناشىء عن اضطرار أو عن التقليد المجرد ، ولقد كان الإسلام هنا ثورة على الجمود العقلى الذى كان سائدا فى كثير من الصور ، من أبتاع الآباء ورجال الكهنوت فيما كانوا يعتقدون ويرفضون الإسلام رفض ما كان سائدا فى العصور الوسطى فى الجماعات غير الإسلامية ، حينما كان المهيمن على أمور الدين يقول لتابعه : أغمض عينيك واتبعنى ، لأن ذلك امتهان لكرامة الإنسان كإنسان له عقله وارادته واختياره ، وأن عقيدة التوحيد فى الإسلام ، تعطى للإنسان قيمته ، وتحدد مكانته فى الحياة ٠

فحينما يعلن هذا النداء : أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، يشهد الدنيا كلها أنه لا يخضع إلا لإله واحد خالق قادر ، بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، وبعد ذلك هو سيد فى هذه الحياة ، لا يستذل لفرد ، ولا يمنح القيمة لجاه أو مال أو سلطة ، ولا يلين أمام ضغوط فكرية أو اقتصادية أو اجتماعية ، وان صادفته تحديات وقف أمامها قويا صلبا بعقيدته وإيمانه ٠ والامة التى تتكون من أفراد لهم هذا المبدأ وذلك الإيمان أمة مثالية تعيش عزيزة فى دنيا الناس ٠ وماأحوجنا - نحن أبتاع عقيدة الإسلام — إلى أن نتزود من تعاليم ديننا وأن نفيد من توجيهاته ، حتى نحقق الخيرية التى أرادها الله لهذه الأمة فى قوله تعالى : * كنتم خير أمة أخرجت للناس ٠ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله* ٠

وبين يديك أيها القارىء العزيز كتاب : * سر اسلامى * وهو أحد المشاعل التى تضىء للسائرين طريق الحقيقة ، وتقودهم إلى معالم: النور فاقراه بعقلك ٠٠ ٠ وتفكر فى وضع أمتك الإسلامية بين الأمم ٠ (قل انما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) .

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا إلى نعمة الإيمان به . من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * (l)
وأشهد ان لا إله إلا إله يهدى لنوره من أراد أن يعتصم به " ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم " (2)
سبحانك ربى رضيت لنا الإسلام دينا وبعثت فينا محمدا بشيرا ونذيرا ٠ ذكرته فى كتبك المنزلة على رسلك الذين سبقوه * الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ٠ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم * (٣) اللهم صل وسلم وبارك على ذلك النبى محمد النور الهادى المبين ، وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .

---

(١)سورة الكهف آية : ١٧٠ (٢)سورة آل عمران آية : ١٠١
(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٧ ٠

أما بعد
كان من فضل الله علىّ أن شرح الله صدرى للإسلام (فمن يرد الله. أن يهديه يشرح صدره للإسلام) (١) ويذلك كنت على نور من ربى *افمن شرح الله صدره للإسلام فهوعلى نور من ربه(2)*.
فكان من ألزم الواجبات التى أراها فرض عين أن أشكر المنعم الذى أنعم على بنعمته الكبرى أن هدانى للإيمان (قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم إن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين* (3)
وصدق إيمان المؤمن يتجلى فى عمله ، ومن أجل الأعمال التى يقوم بها المؤمن نشر رسالة الله عز وجل وتفنيد المزاعم التى يزعمها أعداء الله ، واظهار الحقائق التى طمست معالمها فغابت عن أهل الملل والنحل والأديان الأخرى ، حتى يفيق

الذين يتاجرون بالأديان ليرجعوا عن غيهم إن أراد بهم ربهم رشدا .
وكذلك وجدت أنه من ألزم المستلزمات أن يكون بين يدى المسلم الذى يريد أن يجلو غوامض ما آلت إليه هذه الملل والنحل على يد كهنتها وقادتها الذين وضعوا المصباح تحت المكيال . وأخضعوا الحقيقة تحت ظاهرة الاختفاء وراء ستار من الطقوس والأقانيم كتاب بقلم عبد من عباد الله آتاه الله هدى وعلما هون عليه ترك دين آبائه وأجداده يشرح فيه الدوافع التى دفعته للإيمان ، ويضمنه الأسباب التى زجت به فى معركة فكرية عاتية

---

(1) سورة الانعام آية : ١٢٥ (2)سورة الزمر آية : ٢
(٣) سورة الحجرات آية : ١٧.

اقتلعته من براثن الشرك وأوحال الضلال فصيرته من رجل يضمر العداء للإسلام وأهله إلى مجاهد فى سبيل رفع كلمة الله ونصرة الإسلام ، وحولته من واقف يلصق بالإسلام وبنيه التهم الكاذبة إلى معتل المنابر فى موقف رسول الله صلى الث عليه وسلم يدعو الناس إلى التمسك بدينهم. والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم . الحمد له الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله*(ا) وليس هذا بمستغرب حيث قطرة من بحر فيض الله تملأ الأرض ريا ونظرة من عين رضاه تصير الكافر وليا .
وهاهى رسالتى (سر اسلامى) أكتبها للمسلم الذى لم يعرف بعد ، أن دينه الحق اذا مس شغاف قلوب الباحثين وأشع بنوره على العقول الصافية ، قاد هؤلاء الباحثين عن وعى تام وادراك سليم إلى الإيمان به والتفانى فى سبيل الدعوة إليه والتضحية فى سبيل اعلاء كلمته بالنفس والنفيس من الأرواح والمال (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة * (٢)

كما أكتبها لأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين طمست الكهانة أعينهم ، ليعلموا أن كتبهم التى بين أيديهم بصرف النظر عن صحتها أو تحريفها قد اعترفت فى أكثر من موضع سواء كان ذلك فى أسفار العهد القديم أو فى رسائل العهد الجديد أو فى كتب التاريخ المعتمدة منهم والتى تعتبرمن أهم مراجعهم بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام

---

(١) سورةالأعراف آية : ٤٣ (٢) سورة التوبة آية : ١١١

وأنهم لو التزموا الحيدة التامة لوجدوا أن الإسلام صاحب السلطان على النفوس التى خلصت من شوائب العناد ، وسيطرة الإغراء المادى والدنيوى وبعد أن تكون قد توفرت لها عوامل الحيدة التامة ، وتحررت من نير الذل والعبودية بجميع أنواعها وأصبح الإنسان وهواه تبعا لارادة الله عز وجل فيعود إلى فطرته التى فطره الله عليها (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (1) وأن سلفهم لو استمعوا إلى الدعوة بآذان متفتحة حينما دعاهم نبى الهدى إلى الإيمان مأمورا من ربه (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله(2).
لما كانت بى حاجة إلى كتابة هذه الرسالة للخلف الذين ورثوا الجحود والجمود الدينى نتيجة عدم تكليفهم أنفسهم مشقة البحث عن الحقائق الهادية إلى سواء السبيل .
وقد. آليت على نفسى أن يكون هذا الكتاب رسالة واضحة المعالم محددة الهدف على أن تكون مرآة ساطعة تظهر صفحاتها وضاءة بنور الحق الذى هديت إليه دون النيل من أي دين أومبدا. أو مذهب إلا بالقدر الذى يكون ضروريا لاظهار الحق واضحا جليا ، ودون التعرض إلى النواحى التي تناولتها المؤلفات من قبل

(1) سورة الروم آية : 30   (٢) سورة آل عمران أية : ٦٤ .

لأن التجارب التى مررت بها فى فترة الصراع الفكري أدلة قاطعة وبراهين ناجعة ومعان ملموسة وصور مجسمة تصرخ كلها بالجرائم البشعة التى ارتكبها قادة الشرائع التى سبقت الإسلام ، فقد انحدر الكهنة ورجال الدين بالأديان وخرجوا بها بعيدا عن الطرق التى رسمتها تلك الشرائع ٠
وأكتب أيضا هذه الرسالة إلى الماديين الذين يجادلون فى : الله بغير علم فينزعون إلى المماراة فى وجود الله وينظرون الي الأديان على أنها مسكنات لأبتاعها ، وعكفوا على هواهم واتبعوا كل شيطان وخدعهم البريق الخاطف فانخدعوا بالمظاهر الكاذبة التى أعمتهم فجعلتهم لا يرون الحقيقة التى تقول أنهم ماضون إلى عذاب السعير (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتيع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير) (١) ٠
أكتب هذه الرسالة إلى هؤلاء وأولئك لأبين لهم من وحى ايمانى بعد الدراسة العميقة والرغبة التى صحبت هذه الدراسة فى الوصول إلى حقيقة الأمر الذى فيه يختلف الناس كل يحاول النصر لملته أو نحلته أو إظهار دينه باعتبار أن دينه الحق وان باقى أصحاب الأديان الأخرى فى ضلال مبين مما حدا بى إلى الحيدة التامة والتزام صفة القاضى الذى يريد أن ينصف نفسه فيختار طريق العدالة الذى يرتاح إليه ضميره ، فتجردت من كل دين وتحررت من كل عقيدة وذلك بعد ان استولت على الشكوك

(١) سورة الحج آية : ٣ ، ٤

فيما أدين وبدأت تمحيص كل شى ء والبحث فى كل شى ء فتعرضت لدين يقول الله ثلاثة أو ثالث ثلاثة ، وصدمت بأن الله

سفك دمه على الصليب تارة وأن ابنه هو الذى صلب تارة أخرى كما تفتحت عينى على أن غفران الله متوقف على ارتكاب جريمة قتل ، كما علمت أن كل بنى ادم مظلومون لأنهم خرجوا من صلب من عصى الله فورثوا الخطيئة فاستحقوا العذاب ٠ فكان لزاما على العقل ٠ المستنير أن يشك ، بل يكفر لانه لا يمكن أن يقتنع بترهات جعلت من الالم والدا وولدا يطبق عليه ناموس الحياة الذى يطبق على ا لبشر ٠

ثم وجدت دينا يقول : الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٠ لا يؤله نبيا ولا يقدس بشرا ، وأن كل عبد محاسب عما قدمت يداه ٠ لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ٠ وأن المغفرة من شأن الله عز وجل ٠ وأن باب الامل مفتوح على مصراعيه لكل تائب منيب إلى ربه وأن العبد لا يرث خطيئة عن سلفه .

وجدت دينا قيما يجمع بين توجيه الإنسان فى دنياه وصنعه لأخراه ، نظم حياة الفرد والجماعة وتدخل فى كل شئون الحياة بحيث لا تطغى الدنيا على الآخرة ولا الآخرة على الدنيا ٠

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك)(ا)

---

(١) سورة القصص آية : ٧٧

كما وجدت كتابا منزلا يهدى إلى الرشد لا ريب فيه هدى للمتقين يتناول كل شىء وما فرط فى شىء ، فيه نبأ السلف وخير الخلف . فيه حكم وأحكام فى إحكام ، يهدى إلى الصراط المستقيم لا تلتبس به الألسنة ، ولا تزيغ به الأهواء ، ولا يشبع منه العلماء ولا تنتهى, حكمه وأحكامه ولا عجائبه ، ذلكم هو القرآن الكريم الذى نزل روحا من عند الله على نبى الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ٠

(وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ٠ صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض إلا إلى الله تصير الأمور)(١)

ووجدت نبيا لم يدع الألوهية أو النبوة لله ، بل ذكر عنه فى القرآن أنه عبد الله ورسوله ، وذكره أصحابه على أنه عبد لله ورسوله (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا)(٢) وكذلك أمر فقال (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا) (٣)

ومن الشك كانت البداية ، بداية اليقين . ومن الدراسة كان الإيمان كما آمن الانس والجن من قبل ٠

---

(١) سورة الشورى آية : ٥٢ ، ٥٣

(٢) سورة الاسراء آية : ١   (٣) سورة الكهف آية : ١١٠

* قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا * (١) *
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان ان آمنوا بربكم فآمنا *(٢)
وانتهى بى أن أسلمت (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور) (٣)
وحين أسلمت كان لابد من الإيمان (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)(٤) اذن الإسلام عقيدة والايمان عمل ٠ ولن يكون العبد مؤمنا حقا إلا اذا عمل لدينه وجاهد فى سبيله بنشر دعوة الله عز وجل لأنه بإيمانه يكون من أبتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث لتلك الرسالة الخالدة التى تعتبر الدعوة اليها فرض عين على كل مسلم ومسلمة ٠
* قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى *(*)
* ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين*(٦)
فإلى العالم شرقيه وغربيه بجميع أديانه ومبادئه أقدم كتابى مستهديا ربى ، مستهدفا الخير فيما أكتب ، داعيا الله عز وجل أن يجعل هذا العمل المتواضع مقبولا. عنده خالصا لوجهه .

---

(١) سورة الجن آية : ١ ، ٢ (٢) سورة آل عمران آية ١٩٢ (٣) سورة لقمان آية : ٢٢ (٤) سورة الحجرات آية : ١٤
(٥)سورة يوسف آية ١٠٨ (٦) سورة فصلت آية ٣٣

وان كان هناك قصور فمعذرة لأخى القارىء وأسأله أن يسأل الله معى أن يهدينى سواء السبيل ، لأنى إن قصر رأيى أو ضعف، عملى افتقرت إلى رحمته ٠ لأنى أردت أن أضىء ولو شمعة صغيرة خيرا من أن أجلس مع من يسبون الظلام ٠
اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه

لا يصيبنى إلا ما كتبت لى ، ورضى بما قسمت لى ، واجعل سريرتى خيرا من علانيتى وعلانيتى صالحة ٠
وأدعو الله أن ينفخ فى جهدى المتواضع روحا من عنده ٠
وانى لأشعر بالراحة لانى بكتابى هذا أكون قد أديت بعض ما على من دين نحو دينى وربى انه نعم الموفق ونعم المولي ونعم النصير ٠٠٠
المؤلف   محمد فؤاد الهاشمى

الفصل الأول الدرج الأول

يقول علماء النفس أن البيئة هى المدرسة الأولى التى تغرس فى النفوس العادات التى قلما يقلع عنها الإنسان إلا بالتطبع والتعليم والتهذيب والتوجيه السليم ٠وكل هذا يحتاج إلى جهد جهيد ٠ فكان لزاما على أن أضع بين يدى القارىء لمحة إلى البيئة. التى نشأت فيها لكى يتضح للقارئ السبيل التى أدت إلى هدايتى. وتبلور أمامه المعارك التى خضتها حتى أوتيت نور الهدى. .

فقد ولدت من أبوين عريقين فى المسيحية. عن أجدادهما متعصبين لدينهما أشد التعصب حتى أنهما لا يقبلان المناقشة فى أبسط الأمور التى تمس العقيدة من بعيد أو قريب ، يعيشان في القرية فى منزلنا الذى بنى والكنيسة على قطعة أرض واحدة لا يفصل أحدهما عن الآخر إلا باب ممر صغير ، لذا كان أدوم الطقوس عندهما وأقدسها رسم علامة الصليب قبل النوم وعند اليقظة ، واللسان يذكر علامة الصليب واسم الصليب فى كل فرحة وترحة ورسم الصليب على كل شى ء يراد له البركة حتى الأطفال عند البكاء فى مهودهم لتعمهم بركة الثالوث المقمس * الأب والابن والروح القدس)

نشأت وقبل أن استطرد فى سرد كيفية نشأتي اذكر حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يولد الإنسان على فطرته و أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) ٠

فمندما بدأ لسانى يخرج من عقاله بدأت اتلقى دروسا فى الصلاة على يدي والدتى المتدينة بل المتعصبة لدينها أشد التعصب ، وإني لا أخفى علي القارىء سرا هو أن الساعة التي كنت أقضيها بين يديها فى تعلم الصلوات والدعوات وحفظ بعض التراتيل كانت أطول من سنى حياتى الأربعة ، أقوم بعد تلك الساعة أنفس عن نفسى بالضجيج واللعب وتحطيم كل ما

كان يعتبره أهل البيت مثار لإقلاق راحتهم وتعكيرا لصفو هدوئهم .
اذن كان لابد من التفكير فيما يملأ فراغ الطفل ويعود عليه بالنفع بجانب تخلص من فى البيت من الضجيج ولكن الطفل لم يبلغ سنا تؤهله لدخول المدرسة الأولية فى ذلك الوقت فكان اقتراحا مقبولا بحكم الظروف اذ لم يكن في القرية غير مكتب الفقيه المسلم وأرسل الطفل إليه حتي يستريح أهل البيت سويعات الضحي حتى الظهيرة من هرجه ووعد الفقيه بالمكافآت المجزية إذا اجتهد فى تعليمى القراءة والكتابة وظهرت النتيجة في أقرب وقت ٠
وفي يوم كنت فيه على موعد أضمره لي الغيب وخبأه القدر ؛ عندما خرجت وقت الظهر من مكتب الفقيه مرحا ألعب وألهو في الطريق يمنة ويسرة حتي وصلت إلى المنزل الذى دخلته مهرولا أتأبط كراستى وهنا ظهرت خطوط القدر العريضة فى تحويل مجريات حياتى ٠
في ردهة البيت جلس أحد الرهبان الذين يعيشون فى الأديرة يقصد العبادة والترهب ويخرجون أوقاتا متفاوتة ، اعتاد أن يزورنا فى العام مرة أو مرتين حسب خروجه من الدير ليفىء عليه أهل البيت مما افاء عليهم الله ٠
استوقفني الراهب ومد يده مسلما فمددت يدى فاحتضنني والتقط الكراسة وسألنى أن أقرأ المكتوب فيها فتمتمت ٠٠٠ ولكى أبرهن علي جدى واجتهادى أخذت اتلو دون طلب بعض سور القرآن من.جزء (عم) وفاتحة الكتاب ، وبعض الآيات التى حفظتها سماعيا بحكم وجودى مع من يحفظون القرآن وهنا كانت الطامة الكبرى والمصيبة العظمى كما صورها الراهب ،.حيث ظهر على وجهه الغضب واستبد به الألم حتي صرخ صرخة أخافتتى وهرع من في البيت جميعا نحو مصدر الصوت ليقفوا على الخبر وأمعن الراهب في تمثيل دور الحزين المتألم لابناء يسوع الحبيب الذى صلب من أجلهم ٠

ومن شدة هول المصيبة التى ألمت بالعائلة ٠ عقد فى المساء اجتماع ضم شمل العائلة والأقربين الجيرإن من المسيحيين •٠٠ وانبرى الراهب محتدا فى حديثه يعيب عليهم ترك الأولاد بين براثن المسلمين يستمعون القرآن ويحفظونه ، مما يكون له الاثر السىء على عقيدة الاطفال ، وضعف الدين الذى يشبون عليه ٠ وأمن الجميع على كلامه بعد مناقشة خفيفة انتهت بتدخل الام الصعيدية المتعصبة لدينها الي جانب الراهب ٠ مما جعل الراهب يبتسم وظهرت علي وجهه سمات المنتصر ٠
إن سرور الراهب كان له مغزى كبيرا كشف عنه حين اقترح فتح. فصل دراسى يلحق بالكنيسة وأشار من طرف خفى برغبته في إدارته وعلي ما أعتقد أن جل همه كان الهروب من حياة الدير . ولكن راعى الكنيسة فوت عليه بغيته و أحبط خطته ، حين اقترح تعيين أحد خريجى الاكليريكية العاطلين، معللاهذا بمساعدة الاكليريكي ماديا ، وضمان النفع للأطفال وذلك لما له من معلومات مدنية ودينية ٠٠٠ وليذهب الراهب إلى ديره ويعود بخفى حنين ٠ جمعت التبرعات بنشاط تام وكان لوالدتى طول الباع فيها فاستحضرت النجار (٠٠٠٠) وصنعت المقاعد والسبورة ٠٠٠ وفتحت المدرسة ٠ وقام على ادارتها (٠٠٠) الاكليريكي بمساعدة (٠٠٠) مردد ألحان الكنيسة (العريف) بحيث يقوم الأول بتدريس الخط والحساب والثانى يعهد إليه بتحفيظ الالحان والتراتيل والترانيم والاناشيد ٠
ودارت الأيام وحفظت الألحان والمردات المطلوبة للكنيسة، للرد مع الشمامسة يوم الأحد وقد حفظت الألحان بنفس الجودة التى حفظت بها بعض سور القرآن من قبل ٠
وبعد ستة أشهر مضت على افتتاح المدرسة حضر مطران الابروشية بمناسبة عيد العذراء وقدموا إليه تلاميذ المدرسة لنيل البركة فامتحنني فى الألحان والمردات ورسمنى شماسا للكنيسة : وحملت الشارة وهى رسم الصليب علي معصمي الأيمن ٠ وكان اختيارى شماسا نجاحا للاكليريكى والعريف

استحقا عليه المكافأة التى قسمت بينهما قسمة غير متكافئة مما أدى إلى الخصام الحاد بينهما فتنازعا ففشلا وكاد كل منهما للآخر . وأهمل الاطفال . وتقدم أولياء الأمور للتوفيق بين الاثنين ففشلوا وأغلقت المدرسة أبوابها .

كنت سببا فى فتح المدرسة وكنت سببا فى ارفضاضها :

وظللت بلا مدرسة حوالى الشهر ونصف الشهرألحقت بعدها بالمدرسة الأولية بالقرية وكانت حياة جديدة . ولكنها لم تغير من طبيعة يوم الأحد الذى كنت انقطع فيه عن المدرسة للذهاب إلى الكنيسة مصلبا وشماسا يردد الالحان ويقرأ الإنجيل بين اعجاب الأم وفرحة الأب اللذين كانا يغمرانى بالهدايا تعبيرا عن رضائهما وكم كانت هذه الفرحة تنقلب حزنا وأسفا عندما يعود بى الحنين فى أوقات متفرقة لترديد بعض سور القرآن وآياته التى حفظتها في كتاب القرية . حيث كان هذا يخلق صنفين من الشعور متضادين كان يوجد فى صدرى انشراحا وسرورا لما عليه تلك الآيات من قوة روحية مؤثرة تنزع منى الفؤاد إلى آفاق لم أستطع تحديدها فى طفولتي البريئة التى لا تزال تتعلق بفطرتها التي فطرها الله عليها . كما كان يخلق شعورا بالضيق والكآبة عند والدتي التى تأثرت بكلام الراهب ، فكانت توجه إلى بعض اللوم في صيغة أسئلة لم لا تقرأ الألحان التى ترددها في الكنيسة ؟ ولم ولم ؟ وتختتم قولها أنها تخاف على من أن أطرد من النعمة الإلهية . نعمة رب يسوع المسيح وأذهب إلى الجحيم حيث يكون هناك الظلمة والبكاء وصرير الأسنان . ولكن . . ' حيث كانت تغلب على طلاوة القرآن كنت أنسى الملكوت والظلمة والعويل وصرير الاسنان وأدندن بآيات الله وسبحان من يعلم الغيب ، وما سبق به علم الله كان ... ويا أمأه ليس في الامكان أبدع مما كان .

الفصل الثاني حذار أن تقول محمد رسول الله

كان مخصصا للدين الإسلامى حصتان فى الاسبوع فى المدرسة الأولية التى التحقت بها ٠ وكان مدرس الحساب المسيحى *٠٠٠٠٠* يوعز للمسيحيين من الطلبة ان يتركوا حصص الدين ويخرجوا إلى فناء المدرسة حتى تنقضى حصة الدين. وانى لاذكر مرة امتنعت .عن الخروج من حصة الدين التى كان يشرح فيها المدرس قصة يوسف عليه السلام بأسلوب مشوق ، وكم كان غضب هذا المدرس وتهديد اياى بابلاغ والدى أن عدت وظللت فى حصة الدين التى كنت أشعر بالميل والحرص على حضورها ٠ ولم أجد بدا من التوفيق بين رغبتى وبين ما يبغون إلا الخروج والجلوس تحت شباك الفصل المطل على الفناء ٠ مما سبب لى حقدا دفينا على هذا المدرس لم أستطع اظهاره إلا فى حينه ٠ وقد كانت لى معه قصة بعد ، أثرت فى مستقبلى عندما أراد الله لى الهداية ٠

تشاجرت مع الطالب الذى مزق كراستي أثناء الفسحة . فأدخلنا الفراش الي مكتب الناظر حيث كان يجلس * هذا المدرس وسمعته يقول أثر حديث بينه وبين الناظر (لا إله إلا الله) فاستنكرت هذا عليه وحفظتها فى نفسى ولم أبدها له ٠

استنكرت على المدرس الذى يأمرنا بالخروج إلى الفناء أثناء حصة الدين ويهددني بابلاغ والدى اذا لم أخرج ٠ استنكرت عليه النطق بما يتعارض مع (باسم الأب والابن والروح القس) واعتبرت ما صدر منه زلة لابد من ان أنفس عن نفسى التي تمتليء بالحقد عليه ٠

اعتاد المدرس عند انتهاء الدراسة ان يخرج وخلفه الطلبة المسيحيون وكأنه القائد العائد من معركة وخلفه جنوده ، وان دل هذا المنظر انما يدل دلالة قاطعة على ما كان يعانيه من نقص مركب فى نفسه ٠ ظهرت آثاره فى اكثر من موقف مما لا مجال له علي هذه الصفحات ٠ وفي نهاية درس ذلك اليوم

الذي زل فيه لسانه كما كان يتصور لي وأثناء رواحنا تقدمت اليه.وسألته قي صورة المستنكر
- صدرعلى لسان حضرتك كلمة (لا اله إلا الله)
نعم صدرت منى
· لم تنطق بما يتعارض مع (باسم الأب والابن والروح القدس) ؛
سحك .. . . أنت لسه طفل . . . كل بعقلهم حلاوة
عقل من ؟
عقل المسلمين * بكسر الميم * تهكما واستهتارا
أتعنى أن أقولها بينهم ؟
قل ولكن حذار أن تقول (محمد رسول الله)
من (محمد رسول الله ؟)
سفاك الدماء ورئيس العصابة التى تسمى بالمسلمين اللصوص
كانت هذه المناقشة وانتهت في هذا اليوم على النحو السابق
وفى اليوم الثانى غاب هو وشغل حصة الحساب مدرس الدين بالمدرسة .
وعند دخوله سألته اسئلة تنم عن سذاجة صاحبها فى نظره ولكنها في الواقع كانت ترجمة لعدم تصديق ما قال الغائب بالامس · ولما الححت عليه ان يحدثنا عن تعاليم (محمد رسول الله) شرح لنا بعضا من اخلاق النبى في صورة قصص وحوادث آمنت بعدها ان مدرس الأمس مفتر على (محمد رسول الله) وقدتركت هذه الحصة أثرا فى نفسى وخاصة أن القدر قد مهد لها دون ترتيب أو تنظيم من جانب البشر · وكان الغيب قد مهد لهدايتى فكان لسانى ينطق دائما ودون وعى -(لا إله إلا الله محمد رسول الله)
وعندما دقت ساعة الخلاص وكتب لى الفهم الصحيح ، نبأنى العليم الخبير : (ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) (١)

وكما علمنى ربى فيما بعد مخبرا عن أمثال هذا الإنسان : (واذا لقوا الذين أمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهمم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون) (٢) .
(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ٠ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) (٣)
ولن أطيل فى شرح تطورات حياتى الأولى لأنها غير ما أريد أن يتضمن كتابي ٠ انما أريد أن أبلغ هدفا وأصيب مرمى ٠ وليس الهدف بالطور الأول من تلك آلحياة المجتمعة في سنى الدراسة الأولى ٠ وأرجو أن أبلغ وأن أصيب فيما يلى العجالة القادمة ٠

---

(١) سورة البقرة : ٨، ٩
(٢) سورة البقرة : ١٤
(٣) سورة آل عمران أية ٧٢ ، ٧٣

عندما كنت فى الفرقة الثانية بالمدرسة الابتدائية كون. مدرس اللغة العربية الجماعة الدينية وتلك الجماعة كانت ضمن النشاط المدرسى وكان جل تلاميذها من الطلبة المسلمين ٠ وكان اجتماعها فى بعض الايام عقب صلاة الظهر ٠ وكانت هناك مصادمات بين بعض أعضائها من الطلبة ، وبين زملائهم من المسيحيين ٠ نتيجة لجدل غير ذى جدوى ٠ مما أوقد الغيرة في قلوب الطلبة المسيحيين . اذ كان بينهم من يدعى (٠٠ ٠) بن أحد القساوسة. استبدت الغيرة بهذا الطالب واستبد به التعصب لدينه فاقترح تاليف جماعة الدين المسيحى تتكون من الطلبة الثلاثين المسيحيين ٠ ولأمر ما ، كان حكمة من ناظر المدرسة ووافق على تاليف تلك الجماعة مشترطا إلا يكون (٠٠٠) فى القيادة ، فلم يكن بد من.انتخابى رائدا لتلك الجماعة ٠ من يوم ان تالفت تلل الجماعة بدأ الجدل الساذج الخطيرعلى، مستقبل

الطلبة علي أشده وذلك لجهل المسلمين بدينهم ٠ اللهم إلا النذر القليل الذى كانوا يتلقونه فى المدرسة كبعض الشعائر التعبدية ، وقصص بعض الأنبياء ونبذ غير وافية من السيرة النبوية ٠ مما لا يساعد علي نصرتهم ٠
وكان لوقوف القس " والد الطالب "(٠٠٠) معنا من خلف الستار وتزويده لنا ببعض فنون المجادلة كنت اتغلب على فريق الجماعة الإسلامية بالثرثرة والمحاورة والمداورة وكثيرا ما قامت الاشتباكات التى كانت تظهر فريقنا بالجبن وفريقهم بالضعف . حيث كان جهلهم بدينهم له أثركبير في تمسكى بديني . وتصديق القائلين أن الإسلام خرافة وهراء وشعوذة ٠ مما جعلنى اتغالي فى المعاندة لكى أظهر بمظهر القائد الرائد الجدير بالقيادة ٠ وكانت ذخيرتي تأتينى يوميا ٠ حيث كان (٠ ٠٠) يحمل معه, كل يوم من العقد أو ما يسمي بالعقد التي لا يمكن لطالب مسلم جهل تعاليم دينه أن يرد عليها ٠
ولم تكن تلك آفة الطلبة وحدهم فى ذلك الوقت ٠ انما كانت آفة أصابت غالبية المسلمين . فقد تحالف المستعمر وأذنابه على إبعاد المسلم عن دينه ٠ والدفع به بعيدا عن تعاليم الدين حتى يظل مهزوز الإيمان مزعزع العقيدة وحتى يكون من الضعف مايمكن للمستعمر من أن يبلغ مأربه وهو آمن من أن المسلم المجرد من روحه إن تكلم فلا يكاد يبين وكذلك يأمن أذناب المستعمر وعملاؤه بانهم سيمضون في طريق الاستغلال وسيطرة النفوذ ٠ فيرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن دون أن يقف في وجوههم معارض أو ناقص ٠ ويخلو الجو للمبشرين وأصحاب المبادىء الهدامة ٠ ينصبون شباكهم ليوقعوا فيها كل يوم مئات من مجدبى العقول ومرضى النفوس ٠ الذين أصبحوا أشباحا بلا أرواح ٠ وشعب بلا روح كريشة فى مهب الرياح لا تملك لنفسها ثباتا أو استقرارا ، ولم يكن بد من تدخل بعض المدرسين وحلت الجماعتان وكان نصرا لنا معشر المسيحيين ٠ لان جماعتنا كانت منحلة بطبيعتها لان

المسيحيين الثلاثين كانوا يتبعوننى (و ٠٠٠) تعصباً للدين لاتفهما لحقائقه ٠

الفصل الثالث نهاية وبداية

خط القدر فى طيات صحائفه لى تاريخا ٠٠ حيث كانت قيادتى للجماعة المسيحية التى لم يكن تكوينها الحقيقى إلا منى ومن . ميخائيل ، بداية تمهيد لارادة الهية فى تحويل مجرى حياتى ٠٠٠ راعى الكنيسة ببلدتنا كان رجلا . طاعنا فى السن أتته المنية ووافاه الاجل المحتوم لتولد مشكلة خطيرة وهى اختيار قسيس يملأً الفراغ الذى تركه بشرط أن يكون من نفس البلدة ٠
وقامت الخلافات على أشدها انتهت باقتراح أحد الحاضرين فى الاجتماع بانتداب قسيس من البطريركية ليحل مكانه ٠ على أن يرسل أحد الشباب إلى أحد الاديرة لمدة ستة أشهر يعود بعدها قسيسا ليحتل المكان الشاغر ٠
واختير فعلا ابن عامل التليفون ٠ وكان يعمل كاتبا للحسابات بأحد المحال التجارية ٠ وأرسل إلى احدى الكنائس مدة ثم أرسل إلى أحد الأديرة تمهيدا لأن يتولى المنصب ٠
وفي ليلة من ليالي الصيف جلست الاسرة في احدى شرفات المنزل تسمر ٠ وتطرق الحديث عن القسيس المنتظر ٠ حديث يشوبه الحسد حيث كانت الفاظ الحديث كلها تنصب على القسيس المنتظر الذى شملته نعمة الرب وكان لا يستحقها لانه ليس من عائلة مرموقة . وكان بين الجلوس بعض أقاربى الذى جبل على عدم حب الخير ٠ وتمنى زوال نعمة الغير ٠
انبرى ذلك القريب يقول : يا حسرتاه ٠ ٠ ٠ بعد أيام سنقبل يد ابن عامل التليفون وتكون له السلطة الروحية علينا جميعا ٠ بعد أن كان والداه يسعدان بالتقرب الينا ٠ ثم وجه الحديث لأبى ٠ ٠ ٠ ليتك أبا فؤاد أرسلت فؤادا بدلا من ذلك الشاب ٠ ولكن كان جواب أبي وأمي وعمى ٠ انا نريد أن يكون فؤاد طبيبا أو مهندسا ٠ ولكن القريب أدلى بالدليل تلو البرهان على أفضلية وسمو مركز القسيس الذى ينحنى أمامه الطبيب والمهندس اجلالا ولثما علي يديه فى خضوع واحترام نابعين من قداسة

رسالته التي يحملها ومنصبه الذى يعتبر وكيل الله علي الأرض ما يحله فى الأرض يحله الله فى السماء · وما يربطه على الأرض يريطه الله فى السماء وأنه تلميذ يسوع المسيح الأب الابن والروح القدس · وحارس مذبح الإله ضابط الكل خالق السموات والأرض · والأمين علي أسرار الملكوت ·
أخذ الحديث مني كل مأخذ واستهوتنى الألفاظ · واستولى علي لبى بريق المنصب · فتدخلت فى الحديث وأبديت رأيي مؤيدا · رأى القريب وكنت لا أزال تحت سيطرة حب الرياسة · بعد قيادتى للجماعة الدينية بالمدرسة وكان قد مضى عليها سنتان ·
ومن تلك الليلة تعقدت نفسى من جميع فروع التعليم المدنى وتولد فىّ حب الدراسة اللاهوتية وما كانت تلك الميول وليدة الليلة فحسب ، ولكنها مخلفات عبارات النصر الزائف نتيجة مبارزة الذين يملكون أسلحة الإقناع ولا يحملونها · كما أن الرغبة في دراسة اللاهوت كان من عواملها ما كنت أشعر به من هيبة لرجال الكهنوت . وما كنت أراه على المسرح تمثيلا أو عن صدق من هيبة الكبار وذوى المراكز الاجتماعية لهؤلاء الكهنة ·
ألححت على والدى ووسطت والدتي وذلك القريب حتى قبل والدى بعد لأى على دراسة اللاهوت · ودفنت رأسى بين العقائد والمذاهب أنهل استعدادا للتخرج والانضمام إلى صفوف الكهنة والرعاة ولكنها كانت نهاية وبداية ·
نهاية دراسة وبداية دراسة ، نهاية تلقين وبداية تفكير ، نهاية حياة كنت فيها مدفوعا برغبة مبنية علي التقليد والتعليم · وبداية حياة يلح العقل فيها أن أتعمق فى العلوم بعين الحقيقة لا عين الخيال · نهاية الغاء الخيال وبداية تشغيل العقل · نهاية الرين على القلب ، وبداية جعل القلب بوتقة للإيمان غير المشوب بشوائب الايحاء ، نهاية ضلال وبداية هدى والحمد لله · والي السيد القارىء الصفحات التالية :

الفصل الرابع صراع بين العقل والعقيدة

اثناء دراستى للدين المسيحى وتعمقى فى جنباته صادفتنى مشاكل عقلية متعددة كنت فى البداية اطرحها جانبا إلى حين ثم أعاود الرجوع اليها فيكون نصيبها التأجيل كالمرة الأولى ٠ وكل يوم تزداد المشاكل عن ذى قبل حتى كونت عندى ما يشبه العقد وولدت عندى اليأس من فهم تلك المشاكل المعقدة بعد الدرس كنت أخلو أحيانا إلى نفسى محاولة منى لايجاد الحلول للمسائل المعقدة ٠ وكانت توجد حلول ٠ ولكنها حلول لا ترضى العقل ولا يستريح لها الضمير إلا مؤقتاً طمعا فى أنى يوما ما ربما تكون قد اتسعت مداركى واستطعت حلها .

ولكن بعد سنى الدراسة الثلاث فى اللاهوت لم أجد البياض الناصع الذى يعتبر أساسا للدين ، ولم أعثر على الوضوح والبساطة الذى يجب أن تنجلي بهما العقيدة إنما كنت أجد بقعا عديدة من الأصباغ ظننتها بادىء ذي بدء زينة الدين .

ولكنى كلما تعمقت واستعملت العقل وذهبت بالفكر أي مذهب بين الكتب والمتون والشروح أعود إلى النقطة التى بدأت منها دون الخروج بأى جواب شاف؛ علي أسئلة العقل المتلاحقة بغير هوادة وشككت في عقلى: واتهمت ملكة فهمي بالضعف وأيقنت أن ذلك قصورمني وربما وجدت المخرج عند أساتذتى الكهنة والقساوسة والوعاظ الإكليريكيين ٠

كان كل منهم يريدأن يظهرمقدرته ومدى مساهمته فى هذا الدين فحملوا الدين ما لا يطيق من الإضافات والتفسيرات .

ووصل الحال فى بعضها إلى أن أصبحت هذه الاضافات والتعليقات هي الأصل والدين ذاته فى المرتبة؛ الثانية من حيث الأهمية .

ويبدو أن أدعياء الدين أو محترفيه لم تعجبهم بساطته وأرادوا له أن يكون معقدا :لانه كلما كان معقدا اتجه الناس لهم يسالونهم تفسيرا لكل ما، يحويه من ألغاز على ان تظل شوكتهم قوية

ويبقي سلطانهم راسخا، فمن جهة المتدينين فرضوا لهم طقوسا ورسموا طرق* وابتدعوا احتفالات وصمموا ملابس وألفوا ترانيم وصلوات ،وتفننوا فى خزعبلات واستغلوا مجريات الأمور لانفسهم فجعلوا مصائر الناس في أيديهم ليظلوا المهيمنين عليهم والمرشدين لهم ٠
أما من جهة خالقهم أرادوا أن يزيدوا في درجة احترامه سبحانه وتعالى فابتدعوا له مؤنسا فى وحدته زوجة ثم ابنا ٠ ثم قالوا عن الابن أنه هو الإله ثم اختاروا فقسموا بين الأب والابن السلطات ورسموا لهما الأقانيم ٠ مما سبق لم أجد جواب الاساتذة إلا كجواب الكتب أو أشد تعقيدا ، وعسير على العقل المتحرر أن يقبل أجوبة على علتها كما قال بعضهم قولته المشهورة ٠ أد الطقوس التى تعلمتها كما تعلمتها ولا تتعب عقلك ٠ فقد تعب قبلك كثيرون وباءوا بالخسران المبين وطردوا من ملكوت السموات . من هنا بدا شكى وفقدت الثقة واستولى على عدم الإيمان فيما ادرس لا فيما أدين ، لان دين المسيحية دين سماوى أتى به المسيح وبشر به من سبقه من الأنبياء وأعترف به من بعده :
ولذا بدأت أبحث وأنقب مصمما علي أن لا ألغى عقلى لانه عسير على العقل الواعي أن يأخذ الأمور علي علاتها كما أنه من العسير على إنسان وهب شيئا من حرية الفكر أن يصم أذنيه عن النداء المنبعث من وحى العقل والضمير ٠ واثقا أنى لن أطرد من ملكوت الله ٠ بل هدفي أن أدخل الملكوت ٠ومن سار علي الدرب وصل ، ومن جد وجد ، لأنه من العبث إلا يبحث أي إنسان أمر دينه حتي يؤمن إيمانا صحيحا أو يترك ما لم يستطع عقله وعقول أساتذته إلى ما يفهمه العامة قبل الخاصة حتى يستريح الضمير ٠ ويكون ذلك دين القيمة . والى القارىء أقدم بحثى الذى انتهي بي إلي الإيمان بدين القيمة ٠

الفصل الخامس المسيحية وأطوار انحدارها

· المسيحية جاء بها السيد المسيح تدعو إلى الزهد فى الدنيا والتطلع إلى الآخرة وتفضيل ملكوت السموات على ملك الأرض · وكانت هذه هى الرسالة المتممة إلى بني إسرائيل الذين أخلدوا إلى الأرض ودعوا إلى إيثار الملك الأرضى على ملكوت السموات. وعبدوا المادة من دون الله عز وجل وتفننوا فى الخروج على الشريعة التى جاء بها موسى عليه السلام ، فأحلوا الحرام وحرموا الحلال ·

- اذن كان لابد من رسالة تدعو الروح إلى اليقظة من سباتها ودين يخاطب اللطيفة الربانية حتى يستيقظ الضمير · ودعوة تناجى الوجدان فتتسلل إلى النفوس التى مرضت لمحو ماران عليها من ضلال وما ألم بها من زيف وما علاها من صدأ وغشاوة ·

ولذا تجد ان تعاليم المسيحية خلت من الدعوة إلى المادة إلا فى حالات نادرة أوحت بها الضرورة فقد كان كل توجيهها إلى المعنويات كالتأمل والتدبر باعتبارهما المخرج من رذائل الإنسان الي الفضائل التي تسمو به إلى عالم الملك والملكوت . حتى يصل الي الكمال الأبدى بالاتجاه إلى الله عز وجل حيث ترتاح الروح باشراقة النور الربانى الذى يعتبر هو الأصل لها فيحوطها الاستقرار وينقشع عنها الخوف من المستقبل ويعلو عندها الرجاء فتشعربالسعادة والطمأنينة بركونها إلى الجانب الإلهي ويكون إيمانها بأن المستقبل وماحدث فى الماضى كله بأمر الله وما سبق به العلم كان . وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن هنا تكون الراحة اللانهائية ·

وظل السيد المسيح عليه السلام يدعو بهذه المبادىء حتى انتقل إلى ربه وظهرت علي سطح الدعوة بعض النزعات التى كانت مختفية تحت المطامع الشخصية وذلك راجع إلى أن بعض الذين آمنوا بالسيد المسيح من الحواريين كانوا يبغون من وراء

هذا الإيمان كسبا دنيويا وذلك ظاهر فى قصة يهوذا الاسخريوطى الذى خدعه المال والحياة ، وتحت تأثير الإغراء تطوع أن يسلم السيد المسيح لليهود لكي يصلبوه · وبطرس الذى تقول عنه الأناجيل انه أنكر المسيح ثلاث مرات · وبولس الذى خالف القاعدة القائلة أن السيد المسيح جاء لبنى إسرائيل فقط فدعا سائر الناس الي الإيمان به بنفس الحقوق والمميزات التى أعطيت لليهود ·
وفى غمرة تغلب حب الظهور الشخصى ظهرت في الافق أراء ومعتقدات وتأويلات وتفسيرات لا حصر لها ، بل بدأ انحدار الكنيسة وخروجها على رسالة السيد المسيح نفسه وظهرت الأحزاب والشيع والطوائف ولكل من هؤلاء رأى ، ولكن الآراء كلها تبلورت في اختلاف هذه الطوائف على شخصية المسيح على أساس : هل المسيح طبيعة واحدة بمشيئتين ؟ أو طبيعة واحدة بمشيئة واحدة ؛ أو طبيعتان ومشيئتان ؛ وذلك فى علاقة المسيح بالإله · ومن أبرز ما يمكن إلا نغفله هنا أن جميع الطؤائف اتفقت علي كون المسيح آت لاجل خلاص العالم من خطيئة أدم ولكنهم اختلفوا فى كيفية الخلاص · ولكن الرأى السائد أن السيد المسيح فدى العالم بنفسه ليخلصه من الخطيئة ، كما اتفقوا على التثليث وهو شعار المسيحية باسم الأب والابن والروح القدس · علما أن الخلاف احتدم فى مسالة اللاهوت والناسوت اختلافا أدى !لى تطور النزاع تطورا كانت له خطورته علي الأمم المسبيحية بأكملها · .
وتتلخص أسباب الخلاف فيما يأتي : -
أن أريوس ينكر لاهوت المسيح ويقول أنه مخلوق ليس مولودا من الأب ولذلك لا يساويه في الجوهر ويقول نسطور للابن أقنومين · النور المنبثق : واحد إلهي والآخر بشرى فهو بالأول ابن الله وبالثانى ابن مريم أي ابن الإنسان ·
ويقول اليعقوبيون أن المسيح أقنوم واحد وطبيعة واحدة وكلاهما إلهى ·

ومن هنا انقسمت إلكنيسة المسيحية في الشرق والغرب إلى ثلاث طوائف كبرى :
١ - الأرثوذكسية ٠ ٢- الكاثوليكية ٠ ٣ - البروتوستانتية ٠
فالارثوذكس يأخذون بالرأى اليعقوبي ويرفضون فكرة انبثاق روح القدس من الابن كما انبثق من الأب .
والكاثوليك ميالون إلى رأى نسطور أي بالمقول بالطبيعتين والمشيئتين ويضيفون إلى ذلك ان المسيح قد صار إنسانا كاملا فى أحشاء أمه البتول ٠
والبروتستانت جاءوا بالإصلاح الاخير على يد (مارتن لوثر) الذى يرى من مذهبه أنه ميال للرأى الأريوسى الذى يقول : إن الجوهرين لا يتساويان ٠
وان اختلفت هذه الطوائف فى شخصية المسيح إلا أنهم اتحدوا في التثليث وذلك ما سنفرد له بابا خاصا به ٠
٢ - المعمودية وسنتعرض لهاعند الحديث عن الصلب ٠
٣- الأناجيل وذلك ما سنسرد عجالة قصيرة عنها ٠
٤ - التناول وسنتحدث عنه عند الحديث عن الصلب
وكتب الديانة المسيحية الأساسية هى :
١ - الأناجيل الاربعة : متي - مرقص - لوقا - يوحنا
٢- اعمال الرسل
٣ - الرسائل
٤- رؤيا يوحنا اللاهوتى
الأناجيل : ولا تخرج مادة الأناجيل الاربعة عن أن تكون تاريخا لحياة المسيح ، وترتيب الأناجيل الأربعة حسب تاريخ كتابتها هكذا : مرقص – متى - لوقا - وأخيرا يوحنا ومجموعها مع غيرها من الرسائل يسمى العهد الجديد .
إنجيل مرقص : كتب بعد سبعين سنة من انتقال المسيح وجمعت أصوله من الرواة الذين اتصلوا بالمسيح أو عن الذين اتصلوا بهؤلاء الرواة والمعاصرين ولم يكن مرقص قد ولد في زمن

المسيح . ولا يعدو ماورد في إنجيل مرقص تجولات المسيح وتاريخ آخر أيامه ٠
وإنجيل متى : كتب فى أواخر القرن الأول ويحوى أقوال المسيح منسقة كما يحوى شجرة النسب للمسيح علاوة على انه يحوى ما حواه إنجيل مرقص وبعض ما يحويه العهه القديم (التوراة) ٠
إنجيل لوقا وقد كتب فى اوائل القرن الثاني جدد في مادته وأتى ببعض أشياء لم تأت بها الأناجيل السابقة ٠ وقد اعتمد كاتبه على بعض ما ورد فى إنجيل مرقص ٠
إنجيل يوحنا : كتب جزء منه فى أوائل القرن الثانى ولكنه لم يتم إلا فى فترات متاخرة ومادته مستحدثة ٠
أعمال الرسل : هى شذرات تحتوى على مجهود الرسل ٠
الرسائل : وهى عبارة عن منشورات وعظات أدلى بها تلاميذ المسيح فى مختلف الأمم ومختلف الأزمان داعين للمسيحية ، وتعد هذه الرسائل أساس علم اللاهوت ٠
رؤيا يوحنا اللاهوتى ، أو * يوحنا المعمدان * : وهى عبارة عن عظات وتنبؤات ٠ومن الامانة أننا نثبت هنا انه لم يوجد إنجيل من الأناجيل المتداولة منسوبا إلى المسيح نفسه أو منزلا علي المسيح (٠ انما كما يرى القارىء أن كل إنجيل من هذه الأناجيل المتداولة منسوب إلى كاتبه وأن هؤلاء الكتاب كلهم لم يكونوا قد أخرجوا إلى الحياة فى زمن السيد المسيح ٠
وأن المدقق يرى ان هذه الكتب كتبت على ألسنة الرواة كتاريخ للحوادث أو تسجيل للكلمات التى حدثت فى زمن السيد المسيح . وقد خلت تلك الكتب - تماما — من أي شىء يشير أن لها مصادر أو مراجع معتمدة وحتى فى عصرنا هذا نجد اختلافا كبيرا بين طبعات ما يسمي بالكتاب المقدس كطبعة بيروت نجدها تختلف عن طيعة لندن والثانية تزيد أو تنقص عن طبعة أمريكا (نيويورك) اذن ، لايمكن لأى عاقل أن يأخذ ما ورد فى تلك الكتب على أنه من عند الله . لان ما كان من عند الله لا نجد

فيه. اختلافا ، واذا رجعنا إلى أسباب الاختلاف نجدها متعددة بحيث تحتاًج لى كتاب منفرد ربما هيأت لى الظروف بارادة الله إخراجه ٠
ولكن يمكن اجمالها هنا فى أن اللغات التي كتب بها الإنجيل كاللغة الفرتية والكبتوكية والعبرية القديمة وغيرها من اللغات العديدة التى تعد بالعشرين لغة هي سبب من الأسباب التى أضاعت معالم الإنجيل الحقيقى ٠
وهناك سبب آخر هو ان المسيحية بدأت كفرقة مضطهدة من الملوك والأباطرة الذين جمعو الإنجيل المنزل وحرقوه . ولا يفوتنا هنا أيضا ان نذكر ان التوراة وهى ألواح موسى ضاعت مع التابوت الذى أخذه الفلسطينيون من اليهود فى حروبهم ٠ وعند ما عاد التابوت إلى اليهود على يد طالوت (شاول) كان خاليا منها ٠
وخلاصة القول أن الذى بين أيدينا لا يمكن أن نعتمده ، وكل دراسة مبنية عليه تعتبر دراسة ناقصة تماما ، إلا أننا بصدد دراسة قضايا وردت فى الأناجيل نفسها كان لابد أن نأخذ فى الاعتبار أن هذه الأناجيل أوردت بعض ما يمكن الاعتماد عليه ٠ لأن ذلك البعض يشير إلى صحة دعوانا فى بطلان العقائد التى درسناها يوم أن كنا نتلقى دراسات فى اللاهوت والناسوت وأن هذه الأناجيل مع تحريفها وتغييرها واختلاف طبعاتها كانت عاملا من العوامل المهمة التى أنارت الطريق أمامنا عند مناقشة القضايا التى احتواها الكتاب . فقد ألقت ضوءا على بطلان القول بألوهية المسيح وبنوته لله وقصة التثليث ٠ كما أقامت الحجة القوية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ما سنورده فى هذا الكتاب

الفصل السادس التثليث ونشأته وتحليله

لو رجعنا إلى ما قبل المسيح بآلاف السنين وتتبعنا الأديان القديمة كديانات البراهمة فى الهند وديانات القدماء المصريين · والديانة الكنفشيوسية فى الصين لوجدنأ أن تلك الأديان بدأت بتوحيد الله عز وجل ثم انحدرت إلى تثليث الإله · حتى أن بعض تلك الأديان تغالت إلى أن أوصلت الإله الواحد إلى تسعة آلهة . ولأننا لسن بصدد مناقشة هذه الأديان فإننا لا نتعرض لها إلا بالقدر إلذى يفى بالغرض المنشود · وبالتحديد سنتعرض للثالوث الهندى والثالوث والتاسوع فى الديانة المصرية القديمة والثالوث الكنفشيوسى فى الصين ·

فبالرجوع إلى الديانات الهندية نجد أن الديانة البراهمية وأهم كتبها المقدسة وهى (الفيدا) التى تتألف أسفارها من (الريجافيدا ، والسامافيدا ، والباجورافيدا ، والآثارا فيدا) نجسد أن الهنود آمنوا بالإله الواحد (براهما) ومعناه فى اللغة (السنسكريتية) الهندية (الله) وهو الإله المتصرف لا شريك له · صدرت الاشياء جميعا عن وجوده وسرى منه الروح فى جميع الكائنات ويؤيد ذلك ما ورد فى أسفار الفيدا ما معناه (اننى أنا الله نور الشمس ضوء القمر بريق اللهب وميض البرق ، صوت الريح أنا العرف الطيب : ينبعث فى الأرجاء والأصل الازلى لجميع الكائنات وانا حياة كل موجود ، واننى صلاح الصالح · لأنى الأول والآخر والحياة والموت لكل كائن) ثم كانت هناك الخرافة القائلة أن * براهما حل فى كبار الكهنة وأولهم * البراهتما * ثم من بعده انتقل إلى تلاميذه * البراهتما *واحدا زتلو الآخر بحيث من ينتقل روح براهما إليه يصبح من المتنبئين به الذين يصدقون فى كل قول صادر عنهم · مما حدا ببعضهم إلى التغالى فى الاختراع حتى أن بعضهم خرج عنهم فكرة التعدد حتى أصبح التعدد عقيدة شعارها التثليث · فإن بعض الكهنة أعطى (براهما) صفات مستقلة وأسماء متعددة وتطور

التعدد إلى أسماء ثلاثة كل اسم منها مستقل ٠ وكل اسم أطلق على اله ، له صفاته وذاته وعمله ، ومن هنا نشأ الثالوث الهندى (براهما - سيفا - فشنو) مكونا من ثلاث اقانيم كل أقنوم له وظيفته وملكوته : ف (براهما) الذات الطاهرة التى لا حد لها ولا شكل ٠ الذى توجه إليه الصلاة وهو الذى يقبل الدعاء حيث لا توجه الصلاة إلا إليه ٠
(و)-(سيفا) الذى أشير إليه فى كتب تفسير (الفيدا) باسم (وورترا) أي القوة المستورة أو الإله الموكل بالرياح الثائرة الهوجاء ٠
(و) -(فيشنو أو فيشا) وهو المكلف بالحياة وسريانها فى جميع الكائنات وهو المحى والمميت . ويعتبر كهنة الديانة البراهمية أول من أنشأوا التثليث وابتدعوه ٠ ولكن من حق التاريخ علينا ان نثبت أن (جوتاما) الشاب المتبتل الذى سمى فيما بعد (بوذا) حارب هذا التثليث كما حارب التعدد وشن عليه حربا شعواء على نظام الطبقات فى الهند الذى يعتبر أكبر سند للتثليث والتعدد ٠ وكذلك الديانة المصرية عندما بدأت بالتوحيد والإيمان باله واحد فردى ازلى ٠ خالق قبل كل شى ء ويبقى بعد كل شى ء لا بداية له ولا نهاية وظل هذا الإله احساسا داخليا وروحا معنويا فى الضمير البشرى بلا اسم يعرف به حتى اتجهوا إلى تسميته (آتوم) ثم قالوا ان الآتوم هذا اسمان احدهما ظاهر والآخر خفى ٠ وقالوا إن الاسم الظاهر تكونت به السموات والأرض - والباطن قام به الوجود وهو أصل كل شىء ٠
فإذا اتجه آتوم إلى العطاء (رع) واذا ظهر بارزا فى ظهور الشمس سمى آمون ٠ ومن هنا ظهر الثالوث المصرى (آتون — آمون - رع) ثم تفرع عن الثالوث آلهة أخرى حتى أصبح التاسوع (آتون - آمون - رع - تيت - نوت - شو - ازيس - سيت) ثم جاءت فى التاريخ الغابر آلهة فرعية أخرى امثال (هاتور – نوباشبت - نوت - معت - بتاح - تبقون) ٠ واذا رجعنا إلى كتب

الديانات الصينية القديمة نجد أن الصينيين عبدوا أول ما عبدوا إلها واحدا هو مولى السماء الرب العظيم مالك الأكوان ٠ ذو العقل المتناهى الذى تجده أينما توجهت ٠ يجود بلطفه ورعايته على الصالحين ويستعمل الرحمة مع عباده واسمه عندهم (تى ين) أي الإله المعلوم من صفاته المجهول ذاته الغير منظور ٠
ثم حل هذا الإله فى أرواح الآباء والحكماء والملوك والقادة ٠
فتطور الإله إلى آلهة ثلاثة كل له قدرته ووظيفته ونشا الثالوث الصينى بأقانيمه (تى ين - تشانج - تشانج تى ين)
(ف)(تى ين الإله المجهول المنظور ، الغير المنظور ، (وتشانج)،(هو الروح التى حلت فى أرواح الآباء والاجداد والملوك فصيرتهم مقدسين ، وببركتهم كانت كل الاشياء التى خلقت لهم وسرت تلك الروح إلى جميع المخلوقات ، من انس وجن وحيوان وطير وهوام ٠
وتشانج تى ين هو إله الشمس وسياراتها والقمر ونوره والأرض ودورانها والسماء ومطرها الخ
وظلت الأديان بعد ذلك تتلخبط على يد كهنتها ، حتى جاًءت الديانة اليهودية ، فجاء اسم ال إله اواحد (آهيا أو الوهيم و يهوه) فى التوراة ٠ ولكن كما قلنا من قبل ان بنى إسرائيل خرجوا عن جادة الدين وعبدوا المادة ثم جاءت المسيحية لتصلح ما أفسده بنو إسرائيل وتدعو إلى الله عز وجل

(١،٢،٣) ارجع إلى كتاب * الأديان فى كفة الميزان * للمؤلف ٠

ولكن بعد انتقال المسيح إلى ربه تجدد الثالوث والتعدد وان كان بصور اختلفت عن صور الثالوث الهندى ، والمصرى ، والصينى ، وذلك ما نعرضه على السيد القارىء ٠
فقد جاء أنه عند قيام الطوائف المسيحية بتنسيق المعتقدات وانشاء نظم دينية أنهم قرروا فى مجامعهم المعقود آخرها سنة ٤٦١ م تمسك الجميع بالتثليث كشعار ثابت لجميع الطوائف

والاجماع بأن المسيح إله مثلث الأقانيم * الأب والابن والروح القدس إله واحد * ٠
ولو أردنا مناقشة موضوع التثليث المسيحى وتحليل الثالوث لوجدنا أنفسنا امام مسائل مذطقية ثلاث عبارة عن معادلات فلسفية ثلاث ، كما نجد أنفسنا مضطرين للتمسك بها لأننا نريد أن نكون فى حيدة تامة ٠ ٠ الحيدة التى تفرض علينا عدم الاستشهاد بأى كتاب سماوى حتى لا يشتم أننا انحزنا إلى أي من الأديان الثلاثة دون اللجوء إلى المنطق أولا ، وهو جزء من الفطرة السليمة التى فطر الله عليها البشر ٠
والمعادلات الثلاث هى :
المعادلة الأولى : ما دام الثلاثة أقانيم فى الحقيقة واحد ، فان ما يصيب الأب من آلام ومسرات فلا بد ان يصيب الابن والروح القدس ، لانهما يكملان الثالوث الموحد ٠
المعادلة الثانية : ان مايؤذى الابن أو يضره ، يضر الأب والروح القدس ما دام ألابن ثانى ثلاثة هم فى الحقيقة واحد ٠
المعادلة الثالثة : كذلك الروح القدس كجزء فى كل ، اذ اشتكى تداعى له الاقنومان بالحمى والسهر ٠
وأمام هذه المعادلات لا يمكن التسليم بالتفسير الوارد فى العقائد الكنسية فى أن * الأب والابن والروح القدس هم الإله السماوى رب السموات والأراضين ضابط الكل قد تجسد وتأنس فى بطن مريم البتول * ٠
لاننا لو سلمنا بهذا التفسير لوقعنا مع العقل فى صراع عنيف ولن ننتصر على العقل أبدا ، لانه لايمكن لإله بدون الكمال المطلق ان يكون إلها فإذا ما تجسد الإله بأقانيمه الثلاثة فى بطن مريم العذراء يكون قد تجرد من كماله المطلق ، لانه ما دام قد سمح لنفسه ان يسلك مسلك البشر : تحمل به أمه وتلده ، اذن لابد أن تجرى عليه سنة الحياة والموت والانتفاضة والانكماش ، مما يؤثر على أقانيمه الثلاثة ٠

والله جل جلاله منزه عن الوالدية والمولودية ، التركيب والتجسيم والاحتياج ، وسابقية العدم ولاحقية الفناء ، وسائر صفات الحوادث ، وكل مالا يليق بذاته العلية ٠
اذن فعقيدة التثليث عقيدة وثنية ، فالبراهمية وقدماء الصين وقدماء المصريين والفرس واليونانيون قالوا من قبل أن الإله مثلث الأقانيم ، وقد اقتبست الكنيسة بعد دخول نصرانية قسطنطين فيهم هذه الشعائر ونسخت بهم شريعة المسيح ٠
والمقام هنا يضيق أن نبسط جميع أوجه الخلاف وأسانيده المختلفة ولكنننا نستطيع أن نلخص رأى العقلاء وهم قلة فى تفسير الأقانيم ٠
وهو * أن الأقانيم جوهر واحد ، وأن الكلمة والأب جزء واحد وأنك حين تقول الأب لا تدل على ذات منفصلة عن الابن أو عن الروح القدس لانه لا انفصال ولا تركيب فى الذات الإلهية ولكنها تتجلى فى معرض الإنعام وبالبنوة فى معرض التلقى والقبول * ٠
وختام القول أنه من العبث الأخذ بمنطق التثليث الغالب على رجال الكنيسة، بأن المسيح هو الله المثلث الأقانيم ، أو الأقانيم الثلاثة هى إله المسيح ، أو المسيح هو الأب والابن والروح القدس ٠ وايفاء للموضوع حقه وجب علينا مناقشة الأقانيم الثلاثة أقنوما بعد الآخر حتى يتضح لنا الامر من القضايا الثلاث وهى : ١ - تأليه المسيح ٢ - بنوة المسيح لله ٠ ٣ - الروح القدس ٠

الفصل السابع قضية ألوهية المسيح

تعرضنا في الأبواب السابقة للكتب والرسائل التى تعتبر الركائز الأساسية التى تعتمد عليها القيادات المسيحية بفروعها وعقائدها المختلفة فى بث العقيدة وتوجيه الدعوة ، كما تعرضنا إلى قيمة تلك الكتب من الناحيتين الروحية والتاريخية ، وذلك بعد بيان ما احتواه كل كتاب وما تضمنته كل رسالة بالقدر الذى يقتضيه حال الايجاد ٠ كما أوجزنا فى الإشارة إلى ما حدث للإنجيل المنزل على السيد المسيح عليه السلام حيث جمع وأحرقت أصوله على يد بعض الملوك والأباطرة الذين حاربوا المسيحية فى العصر الرومانى ٠

وقد أشرنا إلى اختلاف الطوائف فى شخصية المسيح ومدى اتصالها بالإله وأوضحنا أن تلك الطوائف مع اختلافها ، اتحدت فى عقيدة صلب المسيح ومجيئه إلى العالم لفداء البشر بنفسه وتخليصهم من الخطيئة الموروثة عن آدم وذلك ما سنتعرض له فى الأبواب التالية ٠

ولذا وجب على الكاتب ان يتعرض لكل عقيدة من تلك العقائد على أنها من بواعث الشك فيما يدين به حتى يمكنه ان يقول أن هذ؟ الكتاب يكشف فعلا عن سر إيمانه بما أصبح يدين به ٠
وربما سال سائل لماذا سمينا العقائد التى سنتعرض لها فى هذ! الكتاب قضايا ؟ أجبناه إنها فى الحقيقة قضايا تحتاج إلى الإثبات أو النفى وأننا تعمدنا مسايرة الحقيقة حينما سميناها قضايا تحتاج إلى المناقشة التى تعتمد على النقل الموضوع على مشرحة البحث والتفصيل تحت مبضع العقل الذى يلجأ إلى الأدلة المنطقية التى توافق العام والخاص حتى يخرج النفى أو الإثبات حقيقة وافقت المنقول الصحيح والمعقول والمجمع عليه ٠

وقد كان من أظهر الأسباب التى أدت إلى وجود العقيدة القائلة بألوهية المسيح وغيرها معجزة ميلاد المسيح فقد أذهلت اليهود

الذين آمنوا به ، فبدل ان تكون هذه المعجزة توجيها حسيا إلى قدرة الله عز وجل ، ودليلا على عظمة الخالق وقدرته ، كاتت وبالا عليهم بأن زين لهم الهوى إيجاد تفسيرات وتأويلات فى بحرها نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فآلت عقائدهم إلى ما آلت إليه ٠

فمن أدلة الأصباغ الجديدة التى طمست معالم الوضوح للرسالة التى جاء بها المسيح عليه السلام أنهم توجهوا فى صلواتهم إلى السيدة العذراء مريم بقولهم : نعظمك يا أم النور الحقيقى ، ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله مخلص الكل مولود غير مخلوق ضابط الكل (١)

ان مجرد النظرة العابرة إلى ألفاظ الشطر الاخير من الفقرة المتقدمة تأخذنا إلى مجالات واسعة من التساؤل ٠٠ والدة الإله ؟ مولود غير مخلوق ؟ ضابط الكل ٠

فإذا أردنا أجوبة للتساؤل فلانجد إلا الأجوبة التى استقيناها من مجموعة المجلدات التى بين أيدينا والتى يمكن ان نلخصها فى أن المسيح إله لأنه إشراقة من النور الإلهي ، أو قبس من الإله له ما للإله من قدرات وامكانيات لانه مولود غير مخلوق ، مولود فى الصورة ولكنه قديم بقدم الله ٠ ولهذا يقال أنه مولود غير مخلوق، وبذلك كان ضابطا للكل بلاهوته لا بناسوته . إن هذه الأجوبة وغيرها لا يمكن أن تكون شافية ، لأن معجزة خلق عيسى المسيح لا تحتاج إلى هذه التفسيرات والتأويلات لأنها بجانب المعجزات الإلهية التى سبقتها تعتبر بسيطة غير معقدة بالنسبة لمعجزة خلق آدم مثلا ٠

فآدم خلق من غير أب ولا أم من قبضة من تراب سرى فيها السر الإلهي السارى فى جميع المخلوقات وبقدرة الإله الذى قال كن ، فكان آدم تنفيذا للكلمة من طبيعتين اللطيفة الربانية أوالطبيعة الأرضية ٠

---

(١) هذه الصلاة واردة فى كتاب : * الأجبية للصلوات والدعوات * و * الخولاجى الغرغارى ، عند الأرثووذكس ويؤمن بها الكاثوليك ويرددونها فى الحانهم ٠

فإذا عبرنا عن القدرة الإلهية وهى اللطيفة الربانية بالاشراقة الإلهية فإنما نقول أن آدم قبس من النور الإلهي أي أن آدم خلق بلاهوت وناسوت ولكننا لا نقول ان آدم ضابط للكل وانه قديم بقدم الله عز وجل ٠
وهذا قول يرتاح إليه العقل لانه لا يمكن أن نتصور ولادة الإله كما لا يمكن تصوير المولود فى صورة غير صورة المخلوق لأن كل مخلوق لابد بأن يكون وليد شىء ، وكل شى ء مخلوق خلقه الله بقدرته تلك هى الأدلة المنطقية التى تنفى ألوهية المسيح وأن تأليهه افتراء عليه ، ولكى نوفى الموضوع حقه وندعم المنطق بالنقل كان من حق القارىء علينا أن نوضح أن الأناجيل التى سنتخذ بعض ما ورد فيها دليلا على تبرئة المسيح مما نسب إليه قد حرفت تحريفا فى بعض الأحيان بلا قصد ثم أصبحت عن قصد لأن الذين انحدروا بالمسيحية استغلوا غير المقصود لكى يصلوا به إلى المقصود ، وذلك أن الذى ساعد على انحدار المسيحية كثرة اللغات التى كتبت بها الأناجيل وبشر بها تلاميذ المسيح مثل اللغات . * الفرتية * والمادية ، والعيلامية ، والآرامية والسامرية ، والكبدوكية ، والعبرانية ، والقبطية ، والعربية ، ولغات أخرى ولقد نقلت بعض هذه الكلمات بنفس نطقها فى بعض اللغات مما ساعد المستغلين على تغيير بعض الشكل أو النطق للتدليل على صدق دعواهم التى يدعون الناس اليها ٠
ومن هذه الكلمات كلمتان كان لهما تأثيرهما القوى قى إظهار ألوهية المسيح وبنوته لله ، وهاتان الكلمتان هما * آ * ، * ربى * فقد استغلت الكلمة الأولى وهى عبرية معناها (الله) فلما نقلت بنطقها إلى العربية أصبح معناها (آب)

والثانية قد استغل نطقها الآرامى (ربى) بكسر الراء ومعناها (معلم) فأصبحت معناها (ربى) بفتح الراء أي * إلهى * ٠
وكما اختاروا الكلمتين وجعلوهما بمعنى الربوبية اختاروا عدة مصطلحات وأقانيم ورموز أخفوا تحتها الحقائق ٠
ولكنا لا نعدم دليلا من الإنجيل يوضح لنا معنى الكلمات باللغة العربية ، فقد ورد فى إنجيل يوحنا الإصحاح الأول الآيتان ٣٨،٣٧ ما نصه * فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع ، فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال ماذا تطلبان ؟ فقالا ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث ٠
ومن هنا نتبين أن بعض الكلمات كانت عاملا من العوامل المهمة التى توضح استغلال بعض أصحاب الهوى لها حتى يصلوا إلى ما تهدف إليه نفوسهم المريضة ٠
ومن صميم دعوة السيد المسيح نجد أنه أمر تلاميذه وأبتاعه أن يتجهوا إلى السماء ورب السماء والأرض الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما والدعاء إليه وحده والصلاة إليه وذلك فى إنجيل متى الإصحاح السادس الآيات من ٩ إلى ١٣ يقول المسيح لتلاميذه هكذا تصلوا * أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ٠٠٠٠
اذن ما الذى يدعونا ان نجعل المسيح إلها فى الوقت الذى يشير إلى وحدانية الله وهو بين تلاميذه يصلى بهم ومعهم إلى * الأب أي الله المسيطرة سيطرة تامة له ما فى السموات وما فى الأرض ٠ كما يامرهم أن يتجهوا فى باقى الآيات إلى الرزاق الغفور ذى القوة المتين وهو يقصد بكلمة * أبانا * * إلهنا * ، لان كلمة * آب معناها الله * ٠
ولم نجد فى تعاليم المسيح أو فى الوسائل التى اتخذها لدعوته أكثر من الوسائل التى اتخذها الأنبياء من قبله أو من بعده ، فقد كان المسيح شريد الأوطان كما كان الأنبياء من قبله يهاجرون من بلادهم ويطردون من ديارهم ٠

ولذلك تجده يصف نفسه بأنه نبى وأنه فى سبيل دعوته لابد من إيذائه وتشريده بحيث لا يجد مكانا يسند فيه رأسه ، بل تعدى ذلك أن قالها فى صراحة انه * ابن إنسان * وذلك واضح قى إنجيل متى الإصحاح الثامن من الآية ٢٠ *للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار ٠ وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه * ٠
والمسيح لا يستنكف أن يكون عبدا لله ، ويشرفه هذا أنه مرسل من عند الله كباقى الرسل الدين أرسلهم الله إلى البشرية هداية للناس وأنه جاء ليخرج قومه من الضلال بعد أن حادوا عن رسالة موسى عليه السلام كما جاء فى إنجيل متى الإصحاح الثامن عشر الآية الحادية عشرة * لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يخلص ما قد هلك * ٠
حقا ما أضعف الفرد منا لكى يضع هو وحده النظرية النهائية ، أو يفترض التفسير الحاسم لحل مشكلة أزمنت أو ظاهرة تعقدت ، ولكن على الفرد ان يبحث عن الحقائق من الكلام الذى قاله من قامت حوله المعركة حتى ان قومه اعتبروه .شخصية خيالية ، ولم يعرفوا انه شخص حقيقى على درجة عظيمة من الإنسانية حيث يعترف أن له ربا أرسله لتبليغ دعوته و إلى عباده ليعرفوا ربهم الحق وذلك ما جاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح السابع الآية ٢٨ * فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت ، بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه * وكما ورد فى نفس الإنجيل الإصحاح السابع عشر الآية الثالثة * وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى ويسوع المسيح الذى أرسلته* ٠
فلم يأت المسيح غامضا فى دعوته ، بل جاء بها كفلق الصبح جاء بدعوته نبيا مرسلا حيث يقول لتلاميذه فى الإصحاح العاشر الآيتين ٤١ ، ٤٢ من إنجيل متى * من يقبلكم يقبلنى . ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى ، ومن يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ ، ومن يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ * ٠

وهنا يستطيع القارىء ، أن يتبين ماهية السيد المسيح وكونه مرسلا من قبل الذى ارسله وهو بالطبع الله الذى يرسل رسله للناس رحمة وبشرى لقوم استجابوا لدعوة الله على يد رسله وعلى لسان الذين يتتلمذون على أيدى هؤلاء الرسل ، والجدير بالملاحظة أن المسيح لم يشر من بعيد أو قريب إلى أنه الله أو ابن الله مما يدحض كل حجة تقول بألوهيته ٠
بل تعدى السيد المسيح كل شك بأن نزل إلى مستوى أن يقبل الأراجيف التى تقال فى حقه والتهكم عليه ، وأعلن أن ايذاءه يغفره الله لعباده ماداموا لم يشركوا بربهم أحدا أي أن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك ، وهذا المعنى الواضح يتبين من الإصحاح الثانى عشر ، من إنجيل متى الآية ٣٢ حيث تقول على لسانه عليه السلام : * ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له ، وأما من قال كلمة على الروح القدس فلن يغفر له ٠ *
ولم يكتف المسيح بالنهى عن الشرك بالله عز وجل بل دعا إلى توحيد ربه فى صراحة ووضوح ، ونزهه عن الصاحبة والولد عندما ناداه أحد أبتاعه بالمعلم الصالح وكان رده عليه السلام على ذلك التابع بعبارة كلها اعتراف بالوحدانية وردت فى إنجيل متى من الإصحاح التاسع عشر الآيتين ١٦ ، ١٧ * لماذا تدعونى صالحا فليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله "
وإنا لنأخذ قصة على سبيل المثال وردت فى إنجيل مرقص تضمنتها الآيات من ٢٨ إلى ٣٤ من الإصحاح الثانى عشر لنجعلها خير شاهد على دعوة المسيح إلى توحيد الله واعترافه هـو بالوحدانية ٠ وها هى القصة دون اضافات أو تعليق لأنها لا تحتاج إلى تعليق : * فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه ؛ * إشارة إلى المسيح * أجابهم حسنا سأله أية وصية هى أول الكل؟ : فأجابه أن أول الوصايا هى : اسمع يا إسرائيلى الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب من كل قلبك ومن كل ذفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية

الأولى ٠٠ فقال الكاتب : جيدا يامعلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ٠٠ فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له : * لست بعيدا عن ملكوت الله * ٠
وأن لآية قصيرة وردت فى إنجيل يوحنا الإصحاح الأول الآية الثامنة عشر تقول على لسان المسيح عليه السلام * الله لم يره أحد قط * هذه الآية لغنية عن كل بيان عن عقيدة السيد المسيح فى ربه وإنى لن أجد تفسيرا غير تفسير واحد انها تشير إلى أن الله تبارك وتعالى يَرى ولا يُرى يعلم ما بين أيدى عباده وما تخفى صدورهم وسرهم ونجواهم وعلانيتهم وما لا يحيطون به علما ، وإن الآية . تعترف إعترافا واضحا جليا أن إلله جل جل قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الحواس وتعالت ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك ، وتنزهت صفاته القدسية عن المشابهة والمماثلة وأن أقصى ما تدركه العقول والأبصار من شئون ذاته العلية ، إنما هو أسماؤه الحسنى وصفاته العليا ومظاهرها وآثارها التى تجلت فى بدائع ل الكائنات وعجائب المخلوقات ، وطيب النبات وأنوار ساطعات مما يملأ بقدرته ويشهد بعظمته الأرض والسموات .
وقبل أن ننتقل من تبرئة المسيح مما نسب إليه نختتم مواقف المسيح بموقف مشرف يشهد فيه المسيح أنه عبد الله ورسوله إلى قومه ، وأن كل معجزة ظهرت على يديه إنما كانت من الله تأييدا لنبيه ، فإحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص وشفاء المرضى مرجعها جميعا إلى الله عز وجل والله الفاعل المحيي الشافى كما يقول السيد المسيح فى إنجيل يوحنا الإصحاح الثالث الآية ٢١* أما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكى تظهر اعماله أنها بالله معمولة * ٠
ولننتقل من قول المسيح إلى قول بعض تلاميذه التى تشهد بأن المسيح عليه السلام إنسان مرسل من ربه وبشر تسرى عليه نواميس الحياة ، افترش الأرض والتحف السماء ، بل كان جسده

كأجساد البشر جميعا يكل فيرتاح فتأخذه سنة من النوم ، ويظمأ فيرتوى بالماء ، ويجوع فيأكل ويمشى فى الأسواق ، ويعرى فيطلب الكساء ، ويشعر بالبرد فيطلب الدفء أينما كان ولكنه يمتإز بأنه رسول بلغ رسالة ربه إلى الناس وذلك لقوله عليه السلام فى إنجيل يوحنا الإصحاح السابق الآية السادسة * المولود من الجسد جسد هو * ٠
وهاهو بطرس أحد تلاميذه يقف وسط جموع محتشدة ليسمعوا عظاته ليقول إن المسيح رجل أرسله الله ، وذلك ما ورد فى سفر أعمال الرسل الإصحاح الثانى الآية ٣٣ : * أيها الرجال الإسرائيليون ٠ اسمعوا هذه الاقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون ٠٠ *
وها هى مرثا أخت لعاذر الذى أحياه الله على يد المسيح يقص عنها يوحنا فى إنجيله الإصحاح الحادى عشر الآية ٢٢ عندما ذهبت الى المسيح مخاطبة إياه *لكنى الآن أيضا أعلم أن كل ماتطلب من الله يعطيك الله إياه *٠
وهذه العبارة إن دلت إنما تدل على أن الأوائل من أبتاع السيد المسيح كانوا يؤمنون أن المسيح يستمد القوة من الله لصنع المعجزات المؤيدة لنبوته ،قبل أن تمتد يد التبديل والتحريف والتغيير إلى شريعة المسيح عليه السلام ٠
ونختم القضية بموقف للمسيح نفسه عندما. ذهب ليكون واسطة الأحياء لعاذر ، فقد صور يوحنا هذا المشهد الرائع الذى وقف فيه السيد المسيح متجها إلى السماء وهى قبلة الدعاء ليناجى ربه مناجاة العبد الطامع فى كرم تاييده له متضرعا إليه ألا يخذله فى هذا الموقف وهنا تتجلى. العناية ويقوم لعاذر من بين الأموات ٠
وهنا يعيد المسيح الكرة فيتجه إلى ربه شاكرا له نصره إياه والعبارة التى وردت فى الإنجيل المذكور الآية ٤٢ ، ٤٣ من الإصحاح الحادى عشر غنية عن كل بيان حين يقول السيد

المسيح * أيها الرب أشكرك لأنك سمعت لى · ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى * ·
والآن آن لنا أن نسأل أالله هو المسيح ؟ واذا كان المسيح ليس بإله فمن الله الذى كان يستمد منه العون ؟
من كل ما تقدم يتجلى الموقف عن حقيقة واحدة هى أن المسيح لم يكن إلها ولم يدع فى يوم من الأيام أنه إله ، بل دعا إلى عبادة إله عظيم أرسله نبيا كما دعا إلى توحيد الله، فسبحان الله عما يصفون وسلام على عيسى المسيح ضمن عباد الله المرسلين وأعتقد أنى هنا قد استطعت أن أستنبط الحجة من وجهين أولهما المنطق وهو أسلوب الجميع فى عصرنا الحديث ، وثانيهما نقلا من بقايا التوحيد فى الأناجيل المتداولة.، وكان لزاما على ان أعالج الموضوع معالجة من يريد الوصول إلى الحقيقة ابتغاء الوصول إلى الإيمان الذى لا تشوبه أي شائبة من شوائب الشك ، وقد يرى القراء أنى ناقشت القضية مناقشة سهلة الأسلوب لكى نصل جميعا إلى بر السلام الذى ينشده الجميع .
اذن فالمسيح ليس إلها · فهل المسيح ابن الله ؟ هذه قضية جديدة تحتاج مناقشة فالى قضية البنوة · ·

الفصل الثامن قضية البنوة

اشرنا فى الباب السابق إلى الكلمات التى نقلت حسب نطقها فاستغلت استغلالا شنيعا للتأثير على عقول البسطاء والسذج من البشر وكان من أهم هذه الكلمات كلمة (آب) التى نقلت من اللغة العبرية القديمة ومعناها الله الى   اللغة العربية فاستعملت بمعنى الوالد أي "أب"   ٠
ومن هنا قالو ان الله أب المسيح والمسيح ابن الله ٠ ولو تبصرنا قليلا لوجدنا أن الإنجيل أو الأناجيل بالمعني الأعم ذكرت فى أكثر من موضع على لسان المسيح نفسه كلمة * أبوكم السماوى * ، وأنه أطلق على الملائكة وعلى المؤمنين الصالحين ، أن الله أبا لهم فى مواضع كثيرة فى أسفار العهدين القديم والجديد ، وقد أطلق أيضا اسم الابن على بعض الأنبياء ٠
فقد جاء فى الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا. الآية الثامنة والعشرين فى نسب أدم أنه ابن الله وهو ابن أنو شرين بن شيث بن آدم بن الله * وعلى يعقوب ابن الله كما فى الإصحاح الرابع من سفر الخروج الآية * وهكذا يقول الرب : إسرائيل ابنى البكر * وعلى داوود كماجاء فى المزمور ٨٩ الآية ٢٧ * أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الأرض ٠
وقد جاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر الآيات الثلاثة الأول منه على لسان المسيح إلى تلاميذه * لا تضطرب قلوبكم ٠ أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى في بيت أبى منازل كثيرة ٠ والا فانى كنت قد قلت لكم ٠ أذا أمضى لأعد لكم مكانا ٠ وان مضيت وأعددت لكم مكانا آتى أيضا وآخذكم إلى حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا * ٠
إن هذه الآيات تحدد لنا أربع نقاط هامة يرتكز عليها البحث :
الأولى منها وترتكزعلى القول ألأول* لا تضطرب قلوبكم ٠ أنتتم تؤمنون بالله * إشارة إلى أن الإيمان بالله عز وجل يكسب القلوب اطمئنانا والصدور انشراحا وللعبد أمانا واستقرارا ولذا

نجد السيد المسيح عليه السلام يقول لهم ما دمتم آمنتم بالله فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وهنا يقصد أن الإيمان بالله يوجب الإيمان برسله وهو أحد رسل الله عز وجل ٠
والنقطة الثانية توضح أنه من شروط الإيمان بالله الإيمان برسوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ، وما الإيمان بالله إلا إيمانا برسالته وتصديقا برسوله وذلك من شروط الثقة بالله وعدم اضطراب القلوب ٠
والنقطة الثالثة وهى قوله عليه السلام * فى بيت أبى منازل كثيرة * بصرف النظرعن كلمة * آبى * التى وجدناها فى الأناجيل المخطوطة مكتوبة باللغة العيلامية * عند ربى منازل كثيرة * تشير إلى أن منازل الأنبياء والأبرار تختلف كل منزلة عن الأخرى وذلك تضديقا لقول المسيح الذى أشرنا إليه فى الباب السابق * من يقبل نبيا باسم نبى فله أجر نبى ومن يقبل بارا باسم بار فله أجر بار *
أما النقطة الرابعة وهى التى تبدأ بأداة الاستثناء وإلا فكنت قد قلت لكم أنا أمضى لأعد لكم مكانا وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتى أيضا وأخذكم إلى حيث أكون أنا * فإنها تشير إلى أن المسيح يقول لتلاميذه إنى لن أستطيع أن أعد لكم مكانا حيث لا يعلم هو مكانه وإن إيمان المرء هو الذى يعد له المكان اللائق به وكل بما قدم مجزى فان قدم خيرا كانت منزلته خير وان قدم شرا كانت منزلته كذلك .
ولكن مع وضوح المعانى التى تشيراليها هذه الآيات الثلاثة نجد التفاسير التى بين أيدينا تقول غير ذلك وتختلق من المعانى التى لا تمت من بعيد أو قريب لتلك الآيات ، فنجد مثلا فى تفسير زكريا المحرقى ان هذه الآيات تشير إلى أن جميع من آمنوا بالمسيح سيرفعون إلى السماء ويجلسون عن يمين الأب مع المسيح حيث يكون هوعلى يمين الأب ٠
يمكن مناقشة هذا التفسير منظقيا ونرى النتيجة التى يمكن. الوصول اليها مع عدم إغفال ما يجب أن تكون عليه المناقشة

حيث ' يجب أن تكون من وجهين أولهما حيث جلوس المسيح الابن الوحيد لله كما جاء فى الأناجيل فى أكثر من موضع * هذا ابنى الحبيب الذى به سررت * وثانيهما من حيث أن الجميع سيجلسون عن يمين الأب ٠

فإذا قلنا مع القائلين بأن المسيح هو ابن إلله الحبيب نجد العرف جرى على أن طبيعة النسل ترجع إلى أصله ومادام المسيح ابن إلله قد أكل فهل رأوا الله ياكل ؟ والمسيح نام فهل رأوا الله ينام سبحانه وتعالى عما يصفون .

والمسيح مولود ، والمولود لابد أن يكون مولودا لمولود فمن ولد إياه ؟ وإن قالوا مخلوق ، فمن خلقه ؟

اذن هناك خالق أول بلا بداية وآخر بلا نهاية أزلى صمدى منزه عن الوالدية والمولودية أزلى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٠

ولو سرنا معهم إلى آخر الشوط فنقول أن المعروف دائما أن الأولاد متى اتسعت مداركهم تظهر لهم ميول تختلف عن ميول آبائهم مما يؤدى إلى الخلاف فى الرأى والتصرف بحيث ما يفعله الأب بعقليته القديمة يخالف ما يراه الابن بعقليته الحديثة وذلك سبب تطور الحضارات ٠

فلو كان المسيح ابنا لله حقا كما زعموا لكانت النتيجة أن الأب يبنى والابن يهدم والوالد يعطى والابن يمنع وأولهما يزيد وثانيهما ينقص وذلك بحكم تناقض الآراء ٠

ولو على أحسن الفروض كان الابن مطيعا فان القدرة تتفاوت والعقلية تختلف ، ومن اختلاف العقلية وتفاوت القدرة يحدث اختلال التنظيم والتدبير وتفسد السموات والأرض وما بينهما ٠

ومن هذا السرد المنطقى نقول أنه لا يجوز للخالق أن يجعل له شريك ولو كان مع الله إلها أخر فى السموات والأرض لفسدتا ٠

ونختم مناقشة هذا الوجه بالنتيجة الحتمية وهى أن الله جل جلاله واحد فى الألوهية والربوبية لم يلد ولم يولد أي لم يلد

أحدا ، لأن الوالدية تستلزم التركيب والمجانسة لأن الولد جزء من أبيه ومجانس له فى ذاته وصفاته والله تعالى منزه عن التركيب والمجانسة المماثلة ، ولم يلده أحد ، لان المولودية تستلزم التركيب والمجانسة والحدوث وسبق العدم والله تعالى منزه عن ذلك كله فهو واجب الوجود الذى لا أول لوجوده ولا آخر لبقائه أي السابق على جميع الموجودات بلا بداية والباقى بعد فنائها بلا نهاية ٠

واذا قلنا أن جميع من آمنوا بالمسيح من يوم رسالته إلى يوم بعثه سيجلسون معه على يمين الأب على كراسى بجوار كرسى العرش يكون معنى هذا أن هناك آب وأبناء ارتكازا إلى كلمة * أبوكم السماوى * أي أن الأقنوم الثانى بدل أن يصيرالابن يكون الأبناء وينطق التثليث * باسم الأب والابناء والروح القدس * ومعنى هذا أن المسيح وملايين البشر الذين آمنوا برسالته أبناء لله ٠

ومن هنا نقول آن الله عز وعلا ما كان له أن يتخذ شركاء من خلقه وهذا ما لا يجوز مع الله تبارك وتعالى ، ونقول أن أبوة الله الحقيقية لبعض البشر أو غيرهم من الخلق لاتعقل وأبوة التبنى تزوير يجل الله عنه كما يتنزه عن مجانسة الخلق بالأبوة الحقيقية ، والأظهر فى هذه الأبوة فى كل.موضع إن صح النقل أنها حجاز عن الرحمة والرأفة والتكريم ٠

وهذا مايرتاح العقل إلى قبوله ، الأمر الذى لايحتاج الى صراع إذ لا يمكن قبول القول بأن الله اتخذ ولدا أو أولادا لقد قالوا شيئا إداً ، وبهذا يكون الأقنوم الثانى قد لحق بالاقنوم الأول وبالقضيتين ظهر الأقنومان على أنهما اختلاق وافتراء ٠

الفصل التاسع الروح القدس

الروح القدس · أمر من الأمور التى تحتاج إلى بحوث طويلة ولكن موضوع الكتاب يجعلنى التزم بالكتب التى درستها ويؤمن بها أهل الكتاب ، حتى لا أكون قد خالفت ما التزمت به فى المقدمة وهو أن تكون الحجة من الإنجيل والتوراة وملحقاتهما والمزامير، وحتى أستطيع توضيح مااختلط على رجال الكهنوت والكنيسة · كما أننى وجدت أنه من الخير أن أبدأ موضوعى بذكر بعض الأقوال التى تعتبر من الطقوس الشهيرة عند بعض القساوسة ورعاة الكنيسة ·

تجد الكهنة عندما يريد أحدهم أن يبارك أي إنسان فى رعيته يقول له أثناء منح البركة * يحل عليك بروح قدسه* ويقول آخر لمن يرى من أمره رشدا * اذهب فأنت بروحى التى أخذتها من الروح القدس مغفورة لك خطاياك * أو يقول ثالث * اذهب فانت مشمول بنعمة الروح القدس * ·

وفى العهد القديم (التوراة) فى أكثر من موضع تجد العبارة التقليدية * حل عليه الرب بروح قدسه * ·

ويقول داوود فى أغلب مزاميره : أنه بالروح القدس محيت كل آثامه وخطاياه · ويطلب من الله فى المزمور الخمسين قائلا : - * وروحك القدس لا تنزعه منى · امنحنى بهجة خلاصك م وبروح رئاسى اعضدنى* ·

ويقول لوقا فى إنجيله فى تبشير مريم عندما حملت بالمسيح. * وحل عليها الروح القدس . وبشرها الملاك * ·

اذن يتبين مما سبق ان الروح هو مشيئة الله وإرادته. وهو قبس من الأمر به يكون المراد الإلهى وفق ما سبق به العلم ، والروح الإلهي يصح القول عليه الأمر الإلهي ·

فالإنسان الذى تدب فيه الحياة انما تدب بالمشيئة والإرادة الخلاقة.· إرادة الله الذى أراد فأرسل إلى مريم روحه فتمثل

بشرا سويا فيه الروح التى تعتبر سر تجلى الله على خلقه ويمكن تسميتها فى هذه الحالة روحا قدسا ٠
وكل شىء فى هذه الحياة فمرجعه الأمر الإلهي به كان وبغيره لم يكن والنور والقدرة والسلطة والإرادة والمشيئة كل ذلك روح قدس ٠
والروح وإن كان علمها عندربى إلا أننا تعلمنا أن للروح عدة سبل تكون عليها ، فاما أن تكون الروح بالكلمة *كن* أو تكون كتابا منزلا من عند الله على أحد أنبيائه ، أو رسالة نبى إلى قومه أو وحيا من وراء حجاب ، أو وحيا ظاهرا فخلق آدم من تراب وتكوينه وتحويله إلى صورته التى وجد عليها والنفخ فيه من روح الله روح قدسى ٠
والأمر إلى نوح عليه السلام بصنع السفينة والوحى إليه روح قدس، ونجانه وقومه من الغرق وابتلاع الأرض لمائها والأمر للسماء باقلاعها انما هو روح قدس ٠
والوحى إلى إبراهيم ونجاته من النار ، والأمر إلى النار بأن تكون بردا وسلاما على إبراهيم هى روح قدس ٠
وحفظ يونس فى بطن الحوت ونجاته من الغم وكذلك ينجى الله عباده المؤمنين ٠
ونصرة داوود على جالوت واقامته نبيا ورسولا وملكا انما ذلك كان بأمر الله وروحا قدسا ٠
والكتب المنزلة كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل روح من أمر الله ونور من عند الله يهدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام ٠
وكذلك يؤيد الله أنبياءه والصالحين من عباده بالروح القدس اذن الروح القدس قبس من أمر الله وفق مشيئته ، به يكون كل شىء وتبارك الله رب العالمين الذى جعل الروح من أمره وهى سر من أسرارعلمه ٠

الفصل العاشر قضية الصلب وتاريخ الصليب

فى الحقيقة أن قضية صلب المسيح عليه السلام يستند القائلون بها إلى سند هو أن الله من صفاته المحبة ومن فرط محبته رأى أن يخلص العالم المبتعد عن الله من عهد سقوط آدم فى الخطيئة بسبب وراثة هذه الخطيئة فأرسل ابنه الحبيب الوحيد ليخلص العالم ويصلب فداء للبشر ٠
وان كان هذا السند يعتبرسندا منهارا من أساسه لعدم ثبوت بنوة المسيح لله وانهيار قضية البنوة كما رأينا فى الفصل السابق إلا أننا هنا سنعالج هذه القضية من وجه الفداء من ناحية ، كما سندعم الفصلين السابقين أي ستكون دليلا جديدا على انتفاء الألوهية أو بنوة المسيح لله من وجه آخر ٠
ولنسلم معهم جدلا بأن صلب المسيح كان تخليصا وتطهيرا لهم من خطيئة آدم ، فهل ترى أن التطهير كان لمن كان قبل المسيح حتى مجيئه ؟ أم كان للذين عاصروا المسيح ؟ أم لمن عاصروه ومن آمنوا به بعد صلبه ؟
اذا كان التطهير لمن سبق السيد المسيح فقد سبقه أنبياء اختارهم الله لرسالاته ، منهم إبراهيم الذى ينتسب إليه المسيح وموسى الذى جاء بالناموس الذى جاء المسيح ليكمله لقوله فى إنجيل متى : * لا تظنوا أنى قد جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ٠ ما جئت لأنقض بل لأكمل * ومن هنا نقول أن التطهير للسابقين يصمهم بالخطيئة ، والمسيح من سلالتهم فيكون هو أيضا موصوما بنفس الخطيئة الموروثة ولو عن طريق أمه ، وكيف يطهر مخطيئ خطايا المخطئين ؟
واذا كان الصلب لتكفير خطايا المعاصرين للمسيح وحدهم فلنعتبر أن كل من سبق المسيح سيظلون مخطئين إلى قيام الساعة وأن الأنبياء والرسل الذين بعثوا وأرسلواالى أقوامهم مذنبون ، وتكون النتيجة الحتمية أن خلق الله من ادم حتى ما

قبل المسيح مطرودون من الجنة أو الملكوت لأن الأناجيل أجمعت على أن * من يدخل الملكوت يكون بلا خطيئة ، ٠ فآسفاه على نوح وإبراهيم وإسحق وإسماعيل وداوود وموسى وسليمان كل أولئك مطرودون من رحمة الله لأنهم لم يكونوا مع متى ومرقس ولوقا ويوحنا تلاميذ لابن رب العالمين
أما اذا كان الصلب فداء للمعاصرين واللاحقين فنقول لهؤلاء اللاحقين وانهم قد برئوا من ذنوبهم وتطهروا بدم ابن الله الحبيب من الخطيئة الموروثة كفوا عن الذهاب إلى الكنيسة والاعتراف على يد الكاهن لأن من اغتسل بدم ابن الله فلن تلصق به خطيئة بعد ذلك لأن دم المسيح المسفوك على خشبة الصليب قد ضمن لهم الملكوت والفردوس ٠
ولعل القارىء يكون قد فطن إلى ما أهدف ، اذان قصة الفداء تعتبر قصة كتلك القصص الخرافية التى نقرؤها كل يوم لأن المفروض فى الله الذى يقولون عنه * الله محبة * فى استطاعته أن يغفر للناس جميعا ذنوبهم بكلمة منه لأنه هو الذى قال لآدم عندما خلقه * كن * فكان آدم وليست المغفرة بأصعب من خلق آدم من العدم ٠
ولو ضربنا مثلا من أمثلة محبة الله لخلقه فلنضرب مثل إبراهيم الذى أمره أن يذبح ابنه وكيف نظر الله إلى إبراهيم عندما تله للجبين فإذا بالله يخرج له فداء أجمعت الكتب السماوية على أنه كبش عظيم ٠
أما كان بالأحرى أن يفدى الله عباده من بدء الخليقة إلى نهاية الدنيا بكباش بعدد خلقه حتى لا يصلب ابنه ٠ وبذلك تكون محبته عمت - العالم بما فيه ابنه الحبيب والا لقلنا ان الله احب العالم ونزع محبته من ابنه وهذا ما لا يصدقه عقل بشر ٠ ومن هذا يمكن أن ندخل فى الموضوع من حيث هو وارد فى الأناجيل والدخول فى المناقشة الموضوعية حتى تتبين لنا الحقيقة التى نبحث عنها ٠

ان المصادر التاريخية وخاصة الأناجيل تجمع أنه جاء جمع يتقدمهم يهوذا الأسخريوطى ، أحد الاثنى عشر ، ودنا من المسيح ليقبله فقال المسيح يايهوذا أبقبلة تسلم ابن البشر ٠ وتسير قصة القبض على المسيح وقيادته إلى *قيافا* رئيس الكهنة الذى قام معهم ومضوا إلى بيلاطس قائلين له إنه يفسد أمتنا ويمنع من أداء الجزية لقيصر لأن بيلاطس لم ير له ذنبا وكان المسيح من زمام هيرودس أرسله إليه ٠٠٠ ولكن هيرودس رده إلى بيلاطس الذى ظهرت عدم رغبته فى صلبه ، ولكن القوم صرخوا قائلين أصلبه فاضطر أمام رغبة الجميع أن يسلمه وأطلق لهم الله * بارا آباس * وبينما هم منطلقون إلى المكان المسمى * بالجمجمة ، المحدد لصلبه قابلهم فى الطريق رجل من القيروان يسمى سمعان كان آتيا من الحقل وحملوه الصليب ٠
فلنسلم جدلا بالقصة التى تقول أنه قبض على المسيح حيا وذهب فعلا لمقابلة رؤساء الكهنة وبيلاطس وهيرودس ونضع هذه القصة على منضدة التشريح فتظهر لنا فى القصة نقط هامة جدا لا يمكن اغفالها لأنها أدلة قاطعة على عدم صلب المسيح وبراهين على أن الذين ظنوا أنهم صلبوا المسيح كانوا واهمين ٠
فمن القصة نستطيع ان نتبين بوضوح أن بيلاطس البنطى كان غير راغب فى تسليم المسيح حتى آنه قال لهم لم أجد عليه علة تدينه ولكنه أرغم على تسليمه لهم عند ماهاجوا وماجوا ، ولانستبعد أن يكون بيلاطس قام بعمل وهو الذى يملك من الجنود والحاشية الخ ٠ وأنه لشدة حقده على اليهود وخوفا على مركزه لم يستطع عمل أي شى ء فى تلك اللحظة ولكنه أضمر فى نفسه شيئا فماذا كان هذا الشىء ؟
نستطيع ان نقول ان بيلاطس فهم ان الذى سلم المسيح لليهود هو يهوذا فوجه نظره إليه وأراد أن يقتص منه لخيانته وأن يهوذا الاسخريوطى بزيه ولحيته شديدة الشبه بالمسيح كانت من

الدواعى المشجعة على أن أمر بيلاطس جنوده بعملية تبديل بين المسيح الذى لم يجد عليه علة وبين الخائن يهوذا .
ولكن الذين حرفوا وبدلوا قالوا إن يهوذا خنق نفسه كما روى إنجيل متى فى إصحاحه السابع والعشرين فى الآيات من الثالثة إلى السادسة * حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ . . . فطرح الفضة وانصرف فى الهيكل ثم مضى وخنق نفسه * .
ولدينا دليل آخر ورد فى إنجيل متى الإصحاح السابق الآية التاسعة عشر أن امرأة بيلاطس رأت رؤيا بسبب المسيح فافزعتها فأرسلت إلى زوجها تحذره من أن يمسه بسوء (واذا كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة اياك وذلك البار لأتى تألمت كثيرا فى حلم من أجله) وبهذا نقول ان رسالة زوجة بيلاطس إليه زادت من تصميمه على تخليص المسيح . وخصوصا أن من عادة الرومان تلبية رغبات زوجاتهم وخاصة أن طلب زوجة بيلاطس صادف هوى فى نفسه ربما كان مصمما على تنفيذه سرا خوفا على مركزه لأنه كان أحد ولاة قيصر واليهود يدعون أن : المسيح ادعى أنه ملك ريقولون فى صراخهم (ليس ملكا إلا قيصر)
هناك قول لبعض المؤرخين للقرن المسيحى الأول بأن يهوذا عندما اكله الندم وفكر فى الانتحار طرأت عليه فكرة يرتاح اليهاا ضميره الذى كان يؤنبه فدخل وسط الزحام والركب سائر بالمسيح وازداد عدد الجمع وارتفع الغبار تقدم إلى المسيح وحمل عنه الصليب ومكنه من الهرب بمساعدة بعض تلاميذ المسيح أنفسهم .
وفرض آخر نستطيع الجزم به وهو انه أثناء سير الركب اختفى المسيح بمساعدة أتباع بيلاطس ، وعندما شعر الجنود بهروبه فلم يجدوا بدا من أن يتصرفوا بسرعة حتى لاتلتفت الانظار وتكتشف غيابه ويحصلوا على فريسة مكان فريستهم التى ضاعت من بين أيديهم ، وكانت المصادفة هى التى حلت

المشكلة حين قابلوا *سمعان* القيروانى فوجدوا فيه ضالتهم المنشودة فحملوه الصليب واعتبروه المسيح ٠ والقصة توضح لنا أن اليهود من الأصل كانوا غير متأكدين من شخصية المسيح ولذلك استعانو! بيهوذا الاسخريوطى للارشاد عن شخصه فارشدهم إليه بإشارة القبلة له ، وذلك ما يجعل احتمالا أنهم ظنوا عند وصول الركب إليهم أن حامل الصليب هو المسيح فأخذه رؤساء الكهنة إلى الصليب فى الحال ، وبذلك كان سمعان هو المصلوب الذى دوخ العالم واحتار المؤرخون فى أمره ٠

اذن كل شىء فى الأناجيل عن صلب المسيح يعتبر منافيا للحقيقة لأن ما سردناه من نقاط يوضح لنا جليا ، بل ويجزم أن المسيح لم يصلب ولم يعلق على خشبة الصليب ٠

ثم لمن كان هذا الصلب؟ كان لابن الله كما يقولون ، وأستطيع أن أقول أنه لايستطيع أي إنسان مهما كان عقله تافها أن يقول إن الله العظيم أرسل ابنه الحبيب إلى هذا العالم كى يلقى مصرعه على خشبة الصليب بطريقة وحشية لترضية نقمته على العالم ٠ والا لقلنا ان الله راض عن تلك الجريمة ، وأن الذين ارتكبوا هذه الجريمة مبرأون منها لأنهم ارتكبوها بأمر الله ، ويكون الله قد أمر بسفك واشترك معهم * وحاشا لله * ٠

لقد كان الصلب خدعة ولكن الذين لم ينجرفوا فى التيار وآمنوا بربهم انار الله بصيرتهم فهدوا إلى أن تلك الحادثة الخادعة عديمة التأثير على عدالة الله وضبط قوانينه ٠ تلك الشرائع التى تنص على مسئولية الفرد وحده عن عمله وجزائه ، ولقد جاء فى التوراة فى سفر زكريا فى الفقرة العاشرة من الإصحاح الثانى عشر * وأفيض على بيت داوود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتفرعات فينظرون إلى الذى طعنوه ٠٠* ويقال ان التوراة تنبأت بأن أهل اورشليم ستحل عليهم النعمة والتضرعات فيعرفون الذى طعنوه بأنه غير المسيح فتفرح قلوبهم بعد الحزن ، ويضحكون ويمرحون بعد النواح والبكاء ٠ وهنا * ينظرون * معناها أنهم سيعرفون ٠ أي ان العالم سيكتشف فيما بعد من الذى صلبوه ومن الذى طعنوه ٠
وكل ما ذكرته الروايات فى كلمات قالها السيد المسيح أو منسوبة إليه فى الساعة التى زعموا أنه صلب فيها موجودة من قبل فى أسفار التوراة واستحدثوها للايهام وسبك الخدعة ويمكن ضرب الامثال على ذلك لا حصرا : فقد جاء فى سفر أشعياء : * حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه وفى الوقت نفسه وردت فى إنجيل متى عند ذكره حادثة الصلب وقد قال داوود فى مطلع مزموره الثانى والعشرين * ايلى ايلى ٠ لماذا شبقتنى* أي * إلهى الهى لماذا تركتنى * وذكرت فى جميع الأناجيل عند سرد قصة الصلب كما جاء فى مزمور داود الحادى والثلاثين الفقرة الخامسة * فى يديك أستودع روحى * وجاءت على أنها على لسان المسيح ٠وروى داود فى مزموره التاسع والستين الآية الحادية والثلاثين * فى عطشى سقونى خلا * ونسبوها للمسيح على أنه سقوه خلا عند صلبه ٠
ولم يتأثر رجال الكنيسة باسفار العهد القديم فحسب انم. تأثروا يالمصريين والبابليين والسوريين واليونانيين والهنود والأسيويين والرومان والفرس وغيرهم حيث ان هذه الشعوب ظهر فيها قبل ميلاد المسيح آلهة مخلصون جاءوا لخلاص العالم

وكلهم ماتوا من أجل خطايا البشرفقد ظهرفى مصر *أزوريس*
و *بعلا* فى بابل ؛ و * كرشنا فى الهند ، وبالى فى آسيا و
*ثاموسى * فى سوريا * * ابو بوفسيوس ، وبوومسيوس * فى
اليونان وهكذا الخ ٠
ويمكن ان نلخص عقائد البابليين فى بعلهم حتى يتبين وجه
الشبه بين عقائد المسيحيين فى مسيحهم وعقائد البابليين فى
بعل
(١) فكما أخذ بعل أسيرا أخذ المسيح أسيرا ،
(٢) وحوكم كل من البعل والمسيح ، فالأول حوكم فى قاعة
المحكمة والثانى حوكم فى قاعة بيلاطس ٠
(٣) وكما.ضرب بعل جلد المسيح.، . ■
(٤) وكما أخذ بعل إلى الجبل أخذ المسيح إلى الجمجمة،
(٥) وكما أخذ مع بعل مجرمان أطلق سراح أحدهما ، أخذ مع
المسيح لصان أطلق سراح أحدهما برآباص ٠ '
(٦) بعد قتل بعل تهدمت المدينة ، وكذلك بعد صلب المسيح
تحطم الهيكل وخرج الموتى ودخلوا المدينة
(٧) أخذت ملابس بعل واقتسم الجنود ملابس المسيح ٠
(٨) وكما ذهب بعل إلى الجبل واختفى من الحياة ، خرج المسيح
من القبر وذهب إلى عالم الأموات
(٩) وذهبت امرأة تبكى عند قبر بعل وذهبت مريم المجدلية تبكى
عند قبر المسيح ٠
(١٠) عاد بعل إلى الحياة ثانية ، وارتفع المسيح من القبر حيا ٠
واعتقد ن مذه المقارنة تثبت بما لا يدع مجالا للشك فى أن
إلذين هدموا العقائد المسيحية استطاعوا ان يؤثروا فى عقول
البشر حيث لم يجدوا عناء للابتداء وادخال الأقاويل وتحريف
الأناجيل مما كان له الأثز الواضح فى انحراف المسيحية عن
حقيقتها ٠ . . .. .
وإنى فى هذا المقام اتماما للموضوع وايفاء للبحث حقه
لايسعنى إلا أن أشير إلى تاريخ الصليب باعتباره أحد المؤثرات

إلتى تأثر بها حواريو المسيح ٠
ان اكتشاف النار كان من أهم الاكتشافات التى توصل اليها الإنسان الأول وقد عرفها الإنسان بالصدفة بواسطة الأحتكاكات التى كانت تحدث بين بعض الاشجار الجافة والمواد الصلبة وبذلك توصل إلى توليد النار بواسطة احتكاك قطعتين من العصى ٠ ومن ثم سحر الإنسان بالنار لدرجة العبادة ثم عبد النار فعلا ثم تطورت العبادة إلى قداسة ، وقد اوجب التقديس أن يجعل للنار شعارا ، وكان ذلك الشعار عصاتين متعامدتين كالصليب ٠
كما كان المصريون يتخذون الصليب رمزا للحب والتضحية من أجل الحب كان اليهود ينظرون إلى خشبة الصليب على أنها أداة تعذيب الخارجين على القانون ، ولذا اعتبروا أن كل من يموت على خشبة الصليب ملعون ، ولذا نجسد فى كتبهم كثيرا ، ومن هنا فقل العهد الجديد هذه العبارات والعادات ٠٠
فمثلا جاء فى أعمال الرسل : - *ولما أتموا كل ما كتب عنه انزلوه عن الخشبة وجعلوه فى قبر * ورسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح ٣ آية ١٣ *المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لاجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة *٠
وهو يقصد ما كتب فى التوراة فى سفر التثنية والذى يقول : * واذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل على خشبة الصليب لا تبت جثته على الخشبة بل قد تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الإله فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب الهك تصببا * ٠
والجدير بالذكر هنا أن العبارة فيها اعتراف لبولس أن من يبت على الخشبة يكون ملعونا على حسب نواميس اليهود: وبذلك هو يتضارب مع ما قاله المسيح عن نفسه من انه كان مباركا ومقدسا ومرضيا عنه من الآب
والقصص والروايات عن طريقة موت المسيح تختلف كل منها عن الأخرى ففى رواية تكاد تكون الوحيدة فى بابها أنه جاء

الجند وكسروا ساقى المصلبين اللذين صلبا مع المسيح ، وأما يسوع فلما انتهوا إليه رأوه قد مات لم يكسروا ساقه ، لكن واحدا من الجند فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دم وماء ٠
من العجيب أن نرى فى الاخبار والروايات التى تروي عن موت المسيح استثناء دائما للمسيح فمرة يأتون له بشخص يحمل له الصليب ومرة لا يكسرون ساقيه بحجة أنه قد مات وهكذا نرى كسر القوانين والعادات اليهودية مع المسيح على طول الخط ٠
ومع سيرنا مع هذه الرواية فى سردها حتى النهاية حين نشير إلى الآية القائلة (أن الذى شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق للإيمان لأن هذا كان ليتم الكتاب أنه لايكسر له عظم)٠
وهنا نجد التناقض الواضح اذا كان المسيح قد صلب فمعنى هذا أن المسامير قد دقت فى لحمه وعظامه اذ لا يمكن أن نغمر العظام عن اللحم ولقد ثبت ان الجسم لا يعلق بدون سقوط إلا اذا دقت المسامير فى عظام الرسغ — وبهذا نصل إلى النتيجة ان العظام كسرت ومعنى هذا ان الكتاب لم يتم ، فاما أن الكتاب خطأ وأما الصلب لم يحدث ٠
وليس أمامنا أي استنتاج إلا أن نقول أن سفر العدد ذكر وصف ذبيحة الفصح فى الفقرة الثانية عشرة فى الإصحاح التاسع ، ولا يكسروا عظما منه حسب كل فرائض الفصح يعملونه وعلى ذلك استنتج المسيحيون عامة ، والحواريون خاصة . أن الله يطلب ضحية تذبح ويسيل دماؤها من أجل رضائه على العالمين اذن فالمسيح لم يصلب وأن المسيح جاء بالمسيحية دين سماوى ورسالة إلهية. ليخرج بنى إسرائيل من ظلمات الماديات الى نور المعنويات السامية ، وليكمل ناموسا جاء من قبل ، ولم يكمل على يد موسى والأنبياء من قبله ٠ وقد أشارت إلى ذلك الفقرات السابعة عشر والثامنة عشر من الإصحاح الخامس من إنجيل متى ونسبت القول إلى المسيح : * لا تظنوا أنى قد جئت لأنقض الناموس والأنبياء ٠ ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى

الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل * ٠
وانى لا يسعنى هنا إلا أن أعلن أن كل ما آمنت به ودرسته من قبل كان ألغازا وشبه عقد لم استطع حلها آنذاك ، ولكن لما أراد الله لى الهداية وضح لى أنه لا يقوم دليل واحد يثبت صحة العقيدة التى نشأت عليها ، وأن الإله الذى آمنت به كان إنسانا مظلوما وبشرا رسولا ألهه قومه تارة ونسبوا بنوته لله تارة أخرى ، ولذا آثرت ان أبحث عن الإله الحق ، لأن الحياة لافائدة فيها بلا عقيدة سليمة تريح النفس ويطمئن اليها الفؤاد ، تنبع من فطرة الإنسان السليمة التى فطر الله الناس عليها ، وبرئت من عقيدة كلها ترهات تقليدية يؤمن بها الإنسان مقلدا بلا ارادة ولا تفكير ٠ ومن هنا بدأ بحثى عن عقيدة أو دين يوصلنى إلى الإيمان الصحيح بالله الذى عزمت ان أخلص له دينى ، الإله الواحد الصمدى الأزلى الذى يتنزه عن المولودية والولد ، الرؤوف الرحيم الغفور بلا ضحية يقبل التوبة عن عباده ٠
واذا كان المسيح قد جاء ليكمل ناموس موسى والأنبياء كان لابد من مجىء متمم لناموس موسى والأنبياء وعيسى ٠ ومما يؤكد هذا أن المسيح قال فى العبارة التى ذكرناها إنه : * إلى أن تزول السموات والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل * ٠
فالى البحث عن متمم الناموس والبحث عن الكتاب الذى اشار إليه رسول الله المسيح بأنه الكل ما فرط فيه الله من شىء ٠

الفصل الحادي عشر ناموس موسى

كان لابد للمتتبع الدارس الذى يريد ان يصل إلى الناموس المتمم الذى جاء بعد الناموس المكمل أن يشير إلى الناموس المكمل ، لأننا أشرنا فى الفصل السابق أن السيد المسيح عليه السلام جاء مكملا لناموس موسى والأنبياء ٠
والمعروف لدى جميع الأديان أن الله ارسل رسله للناس جيلا بعد جيل ليخرجوا من ظلمات الجهالة التى استولت على عقول البشر فأعمتهم عن الخالق فعبدوا من دونه أصناما وأنصابا وحجارة حتى وصل الحالى بالناس إلى أن عبد بعضهم البعض مما كان لابد من بعث رسل يرسلهم الله عز وجل لئلا يكون للناس على الله حجة فيأتون مبشرين ومنذرين ، وهنا تتجلى محبة الله لخلقه وكان الله عزيزا حكيما ٠
ونحن بصدد البحث عن الايمان بعقيدة ثابتة توصلنا إلى الله عز وجل ، فانا نكتفى بأن نشير إلى ناموس موسى (أي شريعة موسى) حتى نصل إلى التسلسل العقائدى الصحيح الذى يخرجنا مما نحن فيه من حيرة ٠
إن ناموس موسى هو ما جاء به لبنى إسرائيل ، وقبل أن نمضى فى الموضوع كان لابد أن نشير إلى معنى كلمة *إسرائيل* التى معناها فى العربية * مخلوع الفخذ * ويقول مؤرخو العهد القديم كما جاء فى التوراة أن يعقوب عليه السلام كان مخلوع الفخذ (أعرج) فنودى * يا إسرائيل * وقد روت التوراة قضية خلع فخذ يعقوب فى سفر التكوين الإصحاح الثانى والثلاثين فى الفقرات من الثانية والعشرين إلى الخامسة والعشرين انه عند رجوع يعقوب عليه السلام من عند خاله ، بعد أن تزوج ابنته وأنجب منها ، صارعه إنسان فخلع حق فخذه وتجلى عليه الرب وسماه إسرائيل ٠ ولذلك سمى بنوه * بنى إسرائيل * الذين عاشوا فى أرض الشام بلاد كنعان (فلسطين)، ويروى العهد القديم أنه كان ليعقوب اثنا عشر ولدا يحب اثنين منهما لأنهما من زوجته

التى أحبها دون الأخرى ، وكان حبه لزوجته راحيل كما ذكر سفر التكوين من دوافع حبه لولديها * يوسف وبنيامين * مما أوقد نار الغيرة والحقد فى قلوب العشرة الآخرين من أبناء يعقوب ٠ ما جعل الإخوة يضمرون شرا ليوسف وأخيه واتفقوا على أن يتخلصوا من يوسف حتى يخلو لهم وجه أبيهم ، ولذا طلبوا من أبيهم أن يصحبوا يوسف معهم إلى الرعاء ٠
ومع إحساس يعقوب بما يضمره الأخوة وما يكنه الغيب ليوسف إلا أنه كان مدفوعا إلى تحقيق رغبتهم وإجابتهم لمطلبهم ، بعد أن أخذ عليهم موثقا ، تنفيذا لمشيئة عليا وضحت صورتها فى رؤيا يوسف المشهورة ، والقصة مشهورة من بدايتها إلى نهايتها. * قصة يوسف * التى انتهت بمجىء يعقوب وبنيه إلى مصر ٠
ومن هذا التاريخ سكن بنو إسرائيل مصر ، وكانت أسباط بنى إسرائيل الاثنا عشر ، فتناسلوا وكثر عددهم حتى جاء عصر استعبادهم على يد فرعون مصر ووزيزه هامان الذى انتهى بإرسال موسى من لدن الله ليخرجهم من الذل والعبودية ٠ ذهب موسى إلى فرعون مصر الذى طغى مؤيدا من ربه بالمعجزات والآيات البينات التى أجبرت فرعون على السماح لشعب إسرائيل بالخروج مع موسى ٠ ولكن فرعون تتبعهم فكان وجنوده من المغرقين إلا فرعون جعله آية لمن بعده لقوم يوقنون ٠
كل ما حدث من معجزات وآيات حدث أمام أعين بنى إسرائيل وهم يعلمون أن هذا النبى وهذه المعجزات والآيات هى من لدن الحكيم الخبير لإنقاذهم من براثن الطغاة ، مما كان يجدر بهم أن يحمدوا الله الذى أخرجهم من العبودية وحررهم من الذل والسخرة وأنزلهم منازل العز باطلاق اسم * شعب الله المختار * عليهم ٠
كان المفروض فيهم وهم الذين توجوا بهذا التاج أن يكونوا مخلصين لله دينهم شاكرين لأنعمه فيأتمرون بما أمرهم

وينتهون عما نهاهم عنه ، ولكن هيهات لقوم استعبدتهم الدنيا حتى خيم على قلوبهم الرين فحجب عنها الإيمان ، فمالوا إلى البذخ حتى أعمى أبصارهم فتقاعسوا عن طاعة ربهم بعصيان أوامر نبيهم . إن رحيل موسى ببنى إسرائيل من مصر كان يحتاج إلى إيمان ثابت لأنه كان مرحلة من المراحل التى تصادف كل أمة تريد أن تأخذ دورها فى حياة المعزة والسؤدد ، لذا لم يكن بالأمر الهين حيث لم تكن الرحلة سهلة مريحة ، لأن خروج شعب يبلغ تعداده - كما يقول المؤرخون - حوالى أربعة آلاف نسمة تركوا بيوتهم وما فيها غير القليل من أثاثهم الذى يحتاجونه أثناء الرحلة ، من الطبيعى أن تكون مثل هذه الرحلة محفوفة بالمشاق وشظف العيش ووعثاء الطريق ، مما يمكن ان يتحمله بصدر رحب قوم مغلوبون على أمرهم يطلبون العزة وأرض معادهم ، كما يجب أن يتقبل القوم كل جهد يأتى نتيجة جهادهم للوصول إلى أهدافهم فى صبر ورضا ، لأنهم سائرون فى طريق الحرية الكاملة والسيادة ، وبناء حياة جديدة جديرة بأن يبذلوا فى سبيلها النفس والنفيس .

ولكنهم كانوا على عكس ما كان يجب ، لأنهم عندما وصلوا إلى سيناء نكصوا على أعقابهم وتذمروا وأعلنوا الثورة على نبيهم رافعين راية العصيان ، لأنه كما ورد على لسانهم فى التوراة ندموا على ترك مصر متهمين موسى على التغرير بهم يقصد هلاكهم فى الصحراء ، ضاربين بكل الوصايا والتعاليم عرض الحائط .

إن الوصايا التى أنزلها الله على موسى فى ألواح وصحف تأمر بنى إسرائيل أن يعبدوا ربهم ولا يشركوا به شيئا وألا يصنعوا تماثيل منحوتة ، ولا صورا ترمز إلى أهل السموات والأرض أو البحر يقدسونها من دون الله ، وألا يقولوا على الله إلا الحق ، ويكرموا الأب والأم ، وألا يقتلوا النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق ولا يزنون ولا يسرقون ولا يشهدون الزور ولا يحسدون أحدا على نعمة أنعمها الله عليه ولا يطمعون فى أموال غيرهم ،

كما حرمت عليهم استعمال الذهب والفضة فى صنع تماثيلهم ، ولا يبنون هياكل لتؤخذ ضرارا وأوكارا للشرك بالله ، كما أمرهم ان يطلقوا سراح العبيد بعد خدمتهم سبع سنوات ، وألا يأكلوا حقوق اليتامى ، وأن يحفظوا حق النساء بعد تسريحهن .
ووجهتهم إلى أحسن المثل وأعلاها وأسماها فى المعاملات ، وحفظ حقوق الناس واوصتهم التعاليم بالغريب واخراج عشور أموالهم وما إلى ذلك .
ولكن القوم لم يحفظوا هذه الوصايا والتعاليم ، ونبذوا شريعة الله فى حياة موسى وبعد انتقاله ، ففى حياته ضربوا أسوأ الامثلة فى الضلالة والطغيان وعمى البصيرة ، وبعد انتقال موسى كانوا أشد عمى وأكثر ظلما .
لما صعد موسى الجبل ليكلم ربه ، اجتمع بنو اسرائيل فى غيبته وجمعوا من حليهم وذهبهم وصنعوا لهم عجلا إلها تشبها بمن قابلوهم من الشعوب ، والله محيط بهم وبعملهم فأخبر موسى بما وصل إليه القوم فرجع غضبان آسفا ليجدهم يرقصون لإلههم مما زاد غضبه وطرح الألواح وكسرها واتجه إلى العجل فأحرقه ونسفه فى اليم نسفا (١) وقصة بنى إسرائيل يجمع عليها جميع أصحاب الأديان الوضعية والسماوية .
وجميع الكتب السماوية قد أجمعت على لعنة الله لبنى إسرائيل لأنهم - حادوا عن جادة الصواب عندما تلاعبوا بشرائع الله فعصوا وكانوا قوما عامين ، فتفشى فيهم كل عمل قبيح حيث بنوا الهياكل للآلهة وصنعوا التماثيل وعبدوا الأصنام. المنحوتة التى احتفظوا بها فى بيوتهم مثل (البعل) ، و(الطرافين) و (العشطاروث)و(البعليم) وغيرها من الأصنام ، وانتشر بينهم الزنا ، وكثرت الفحشاء ، وجعلوا المادة كل همهم فى الحياة واتخذوها وسيلة لاستعباد غيرهم من الشعوب ، وطغى غنيهم على فقيرهم ، وبطش قويهم بضعيفهم ، واحتقر عظيمهم حقيرهم وقتلوا أنبياءهم ، وأحلوا أسواقهم محل بيوت العبادة ونصبوا فيها موائد الربا الفاحش حتى ضاعت بينهم المثل العليا

وعم الفساد واستشرى وانقسموا شيعا وأحزابا منهم الكتبة والفريسيون والربانيون والقرائيون ، وانقسموا أخيرا إلى دولتى صهيون وإسرائيل حاربت كل منهما الأخرى ، مما جعل اللعنة تنزل عليهم وتضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله فكتب عليهم التيه فأصبحوا عن رحمة الله مبعدين ٠

---

(١) ارجع إلى كتاب اليهود. من الكتب المقدسة للمؤلف ٠

ان رسالة موسى فى جوهرها كانت تتجه إلى تنظيم الحياة الدنيا تنظيما يتفق وروح العصر الذى جاءت فيه ٠ كما كانت تتفق وحاجة الشعب المهاجر ،لأن من سنة الله - ولن تجد لسنة الله تبديلا - أن كل دين يتفق وروح العصر الذى جاء فيه هذا الدين والشعب الذى جاء من أجله الدين .

فرسالة نوح كانت تدعو كما كانت دعوة إبراهيم تدعو إلى عبادة الله والإيمان به وترك عبادة الاصنام ولم تتعرضا للحياة الاجتماعية إلا النذر القليل الذى تقضى به الضرورة كدرء المفاسد لغيرها ٠

كما كانت رسالة لوط وشعيب وهود وصالح بجانب الدعوة إلى الإيمان بالله كانت تدعو إلى محاربة عادات فاسدة متأصلة فى كل أمة من الأمم التى بعثوا اليها .

وكذلك رسالة موسى كانت محددة المعالم ، التى أهمها انقاذ ذلك الشعب المستعبد والخروج به من قبضة فرعون وملئه ، وإن تضمنت الدعوة إلى فرعون ليعرف ربه ، ولكنها فى النهاية لم تتعد تنظيم هذا الشعب وكفالة الاستقرار له فى مهجره ، فكانت ناموسا محددا لشعب محدد فى عصر محدد لا يمكن أن تتعداه إلى عصور أخرى تبعا لتطور المجتمعات وتقدم الحضارات ٠

وبعد ان انتقل موسى جاء أنبياء ومتنبئون ، كان جل دعوتهم تركيزا لدعوة موسى عليه السلام ، فواجهوا شعبا صلب الرقبة كما وصفه موسى (غليظ القفا) لا يعيرهم أذنا صاغية إلا

القليل ولكن الكثرة كانت جاحدة ، قتلت بعض هؤلاء الأنبياء ورجمت الآخرين ٠وبانحراف قوم موسى عن دعوته ، ولأن ادعوة - كما قدمنا - كانت قاصرة على الماديات ، ولأن القوم انجرفوا فى تيار المادة وانحرفوا عن صفة الاعتدال حتى أخلدوا إلى الأرض ٠

كان لابد من ان يرسل الله بشرا رسولا برسالة يغلب عليها السمو وترتفع بالبشرية من المادية الجامدة إلى المعنويات الخالدة ، وذلك كدواء للقلوب المتحجرة والعيون التى أعماها بريق الذهب والفضة والنفوس التى ران عليها ظلام الخطيئة فتحيا من جديد وتخرج من سباتها العميق إلى التفكر فى رب السموات والأرض وعبادته وحده ٠

فكانت رحمة الله لعباده وإعطاء بنى إسرائيل الفرصة ليثوبوا إلى رشدهم فيفتح الله لهم ابواب مغفرته اذا ما عادوا وتابوا فيجدوا الله توابا رحيما ٠

أرسل الله إليهم المسيح عيسى بن مريم بناموس يكمل ناموس موسى والأنبياء ، ولذا أرسله آية فى ولادته ومعجزة فى خلقه وروحانيا فى رسالته ٠

الفصل الثاني عشر المسيح والناموس المكمل

من الواضح بعد ما تقدم أن بنى إسرائيل أعمتهم الضلالة مما كان لابد معه أن يرسل إليهم رسولا بناموس يكمل ناموس موسى على أن تكون فيه صفات الإعجاز ولو بنقطه توقظ عندهم روح المناقشة ، ولذا أرسل الله المسيح معجزة روحية بحتة تتمثل فيها قدرة الله وتتجلى فيها عظمة الخالق سبحانه وتعالى حتى تفيق النفوس وتنتبه فيتحول تفكيرها من الأرض إلى السماء ء وتنتزع من التراب والرغام إلى آفاق بعيدة من النور الإلهي ، وهكذا كان خلق المسيح عليه السلام من أم دون أب خلقا من روح الله فكانت معجزة المعجزات فى عهدهم جعلتهم فى حيرة من أمرهم وأخيرا لم ير أكثرهم بدا من الإيمان به كمخلص أتى ليخلصهم من بؤرهم ٠

ان رسالة السيد المسيح عليه السلام كانت رسالة روحية تولد العشق الربانى الناتج عن حب العبد لربه ، جاءت ناموسا للضمير نسيجه النور الإلهي ، ونبراسا للقلب المنتظر فى تحفز لتلقى الضوء الذى يستنير به ، وخطابا ملكيا موجها للنفوس التى تبحث عن الطريق السوى من خالق النفوس ومسويها يلهمها تقواها فتتمسك بذلك الطريق بمجرد الاهتداء إلى أول خيط من خيوطه ٠

جاءت المسيحية تنادى بالوحدانية المطلقة عن حدود القيد لعدم الشرك بالله حين قالها السيد المسيح * اسمع يا إسرائيلى إلهنا رب واحد * ٠ جاء المسيح داعيا إلى محبة الله تلك المحبة التى يجب أن تملأ القلوب بحيث لا تكن هناك محبة فى القلب موى محبة الله ، وتحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك * ٠

جاءت المسيحية على لسان المسيح خالية من المادة والحدود والقوانين لأنها جاءت لتبصر أعينا ونفوسا طمستها المادة. فأعمتها عن جلال وجمال مطالب الروح ، وتدعوها إلى التخلص

من شوائب الشرك والسير فى طريق الله ، جاء المسيح ليداوى* مرضى النفوس والقلوب. وقد بين فى قوله الهدف من مجيئه باعتباره طبيبا * لايحتاج الأصحاح إلى طبيب بل المرضى * ٠

جاءت المسيحية تعلن على الملأ أن الحياة الحقيقية للذين يحيون فى الله ، وأن الحياة فى الله معناها تفضيل كل عمل للآخرة على أي عمل فى الدنيا ، وأن الحياة ليست هى حياة الجسد ، انما الحياة هى حياة الروح وحياة الروح هى الفناء فى الله ، فيأخذ الله نفس العبد منه إليه ويشغل بوجود الله عن وجوده ، وأن المؤمن هو الحى وان لا حياة بلا إيمان ، ويتضح جليا هذا الامر عند ما جاء أحد أتباع المسيح يستأذنه فى دفن أبيه غير المؤمن ، فقال له المسيح عليه السلام : * دع الموتى يدفنون مؤتاهم * ٠

قد اعتنت تعاليم المسيح عليه السلام بالروح أكثر من الجسد واعتبرت أن الجسد اناء للروح ، وكثيرا ما يحمل جسد نفسا شريرة فلا يستحق هذا الجسد الحياة ، ولذا قال لتلاميذه : لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، بل الحرى أن تخافوا من الذى يقتل النفس والجسد * ٠

والمسيحية بحكم طبيعة القوم الذين بعث فيهم السيد المسيح .كانت تنفر من المادة وتبغض المال وتخير أبتاعها بين أمرين : إما أن يخدموا المال أو يخدموا خالق الإنسان وماله *لا يستطيع أحدكم أن يخدم سيدين ، إما أن يخدم الله أو يخدم المال * ٠

كان حب الله رمزا للمسيحية فى كل أطوار رسالة السيد المسيح حيث كان يقول لهم : * من أحب أبا أو أما أو أبا أو ابنا أكثرمن الله فهو لا يستحق أن يكون مؤمنا * ٠

وهكذا جاءت المسيحية ناموسا من النور المعنوى ليكمل ، ناموسا ماديا حيث لا تستقيم الماديات بلا معنويات تكملها ، وكذلك لا تستقيم المعنويات بلا ماديات تحركها ، لان الجسد بلا

روح يصبح هشيما تذروه الرياح ، والروح لابد لها من جسد تمتطيه أو تتجلى عليه فتدفعه وتحركه إلى غاياتها السامية * ٠
ان المسيحية جاءت ناموسا مكملا لناموس موسى بالمعانى الخالدة والتعاليم الصافية للإيمان ٠ لا تعترف بالشعوذة حيث لا طقوس فيها ، لاتؤله بشرا لأنها تدعو إلى عبادة إله وحده ، ولا تنادى إلا بإله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٠
وما المسيح إلا بشرا رسولا : اعترف فى أكثر من موضع من مواضع الإنجيل انه ابن الإنسان ، كما اشار أكثر من مرة أنه رسول قد خلت من قبله الرسل ، ودعا الناس لان يقبلوه كنبى ومن قبله كنبى ، فله أجر نبى ، وأشار إلى أن من يقبل الرسول يقبل من أرسله " من قبلنى فقد قبل الذى قبلنى وهو حق * ٠
فسلام إله على المسيح عيسى وعلى من قبله من الأنبياء ٠ الذين جاء من بعدهم ليكمل شرائعهم ونواميسهم ٠
وهنا نقول اتماما للبحث يجب أن نبحث عن الناموس المتمم الذى يجمع بين الدنيا والآخرة ويصلح من عقائد الربوبية ، وينزه الخالق عن الوالدية والمولودية ، والذى يفتح باب التوبة للعصاة بلا قنوط ولا يأس من روح الله ولا يعترف بخطيئة موروثة ، ولا ذنب لأى من البشر إلا بما قدمت يداه ٠ والذى يعالج المجتمعات ويقيم الدول على أساس سليم بغير انكباب على الدنيا حتى لاتصداً الروح، ويبتعد المخلوق عن الخالق قينفلت عيار المجتمعات ، وبدون رهبانية ولا عكوف فى الصوامع ودور العبادات حتى يتعطل ركب الحياة ٠

الفصل الثالث عشر الناموس المتمم

ان ناموس موسى كان تنظيما لشعب مهاجر ، كما كان وقفا
على هذا الشعب ملائما لطباعه المادية التى جبل عليها مما
جعله غير كفيل بالتعميم ، كما كان يميل بالتنظيم الدنيوى ، إلا
قليلا من الوصايا التى توجه إلى الله والى الحياة الآخرة ، مما
حدا باليهود إلى الانحراف والانكباب على الدنيا انكبابا جعلهم
لايفرقون بين الحلال والحرام ٠ بل كان كل همهم إرضاء
شهواتهم بجمع المال مما ربى فيهم الأثرة والأنانية وحب
الذات ٠ ٠ العوامل التى أنستهم المثل العليا فنسوا "نسوا الله
فانساهم أنفسهم*
وجاء ناموس المسيح عيسى مكملا لشريعة موسى لتلاشى
الثغرات ، ويصلح من حال اليهود ويقوم اعوجاجهم ، فدعا إلى
الروحانية المطلقة فكانت رسالة المسيحية داعية للصفاء
الروحى ، والرحمة واللين والتسامح والزهد .
.وكان من أهم أهداف السيد المسيح عليه السلام التهذيب،
الروحى والتطهير الوجدانى ، ونقد بل محاربة الطقوس
الجامدة والمظاهر الخاوية فى شعائر اليهود ، ورد الروح
والحياة إلى الضمير الإسرائيلى وبذلك تركت المسيحية *ما
لقيصر للقيصر وما لله لله *وصيغت على أساس ان الدين صلة
بين العبد وربه . وأن القانون صلة بين الفرد والدولة ٠
ومن هنا كانت العزلة بين الدين والدنيا فى حياة كل من اليهود
والمسيحيين ، ولكن الحقيقة الواقعة تنطق بأن طبائع البشر
تخالف ذلك ٠ اذ لا تستقيم حياة كل شى ء فى هذه الدنيا إلا
بالدافع الدينى ، وكذلك ليس للدين قائمة إلا بالدنيا ، اذ الدين
والدنيا توأمان لا ينفصلان ٠
مما كان لابد من ناموس متمم فى شكل جديد بحيث يتولى
الإنسان فيضع قوانينه ونظمه ، كما يتولى فى الوقت ذاته
ضميره لايفرق بين السلوك والمعاملات ، فيكون الجمع بين

الدين والدنيا فى توجيهات ذلك الناموس وتشريعاته ، وبذلك يتم التوحيد بين عالم الأرض وعالم السماء فى نظام واحد يعيش فى ضمير الإنسان فردا ، كما يحيا فى واقع ذلك الإنسان كجماعة ، فلا ينفصل النشاط العملى عن الوازع الدينى ، ولا يتعدد جوهر الدين الموحد وإن اختلفت مظاهره ومسالكه ٠
ولا بد للبشر من ذلك الناموس وتلك الشريعة وهذا التشريع المتكامل الذى تكون تعاليمه وتوجيهاته وشعائره التعبدية حلقة متصلة متماسكة ، وعباداته ومعاملاته غير منفصلة إحداها تكمل الأخرى ، ويكون قوامه الاتحاد التام بين الحياة فى هذه الدنيا وبين الحياة فى الآخرة ، كما يحتم المزج بين العقيدة والاجتماع ولا بد للحياة من أن تخلو من الكهانة والوساطة بين الخلق والخالق ، فكل إنسان فى أطراف الأرض وفى فجاج البحر يستطيع بمفرده أن يتصل بريه بغير وساطة كاهن أو قسيس ، فلا يجب ان يكون لإنسان ما حق خاص فى رقاب الناس ، ويجب أن يكون الكل مصيرهم إلى الله ٠
لأن أي مبدا من المبادى أو دين من الأديان يشتم منه رائحة الجنوح الذى يخالف طبيعته البشرية التى جمعت بين اللطيفة الإلهية والطبيعة البشرية كفيل بأن ينفر الناس منه ٠
لانه قد يطرق سمع الإنسان نداء يدعوه إلى اعتناق دين من الأديان فيفر من هذا الدين بعد نظرة خاطفة إلى مظهره نتيجة تنسم رائحة التكليف المبنى على الارغام والإكراه على اعتناق هذا أو ذاك دون مناقشة أسراره وتعاليمه والبحث فى خفاياه ، لأنه من العسير على العقل الواعى والوجدان المتحرر والضمير اليقظ والإلهام الفطرى أن يطمئن لدين يجبر معتنقيه على الإيمان به ، وذلك يخالف ما فطر عليه الإنسان من حرية التفكير والبحث فى كنه ما يدرى وما لا يدرى ٠
لأن الإنسان دائما بفطرته جبل على أن يمعن النظر وينصت ويصيخ السمع إلى الدين الذى يحل جميع مسائله المعقدة التى

تعترضه فى مرحلتى حياته حاضرا ومستقبلا ويضع حدا لصراعه الفكرى ٠
وكلما كانت الدعوة التى يدعى الإنسان إلى الإيمان بها سلسلة واضحة لا تعقيد فيها ولا تكليف ولا إكراه ، تحمل فى ظاهرها وباطنها ما يتفق والفطرة البشرية التى فطر الله عليها خلقه . كانت دعوة غنية بوسائل الدعوة لنفسها ومبادئها ، ويتهافت الناس على الإيمان بها بدافع الفطرة لانها لا تحتاج إلى دعاة يستعملون أساليب الكياسة والفطنة المدعمة بمعسول الألفاظ والمنطق الخلاب حتى يجروا المعتنقين اليها جرا . ويجذبوا المؤمنين اليها جذبا . وذلك لأن الحقائق ليست بضاعة تتعلق بمطالب ورغبات الجسد الترابى ، انما هى مطلب من مطالب الروح والعقل ، والروح والعقل يبغيان وينشدان الحقائق الواضحة التى لا التواء فيها ولا دوران ٠
وكان حتما بعد هذا الصراع الفكرى الذى خضته والمعركة التى قامت بين العقل والعقيدة ، الوصول إلى غايتى المذشودة وأملى المرتجى وهدفى الذى أبحث ءنه ، وكما كنت جادا في البحث متحرقا شوقا إلى الوصول إلى الناموس المتمم كنت أيها القارىء ترانى بعين بصيرتك أهداً أحيانا ولم يكن ذلك إدبارا للعقل أمام العقيدة إنما كان العقل فى هدوئه دائما متحرفا لقتال حتى انتصر على العقيدة ووصل إلى الناموس المتمم حيث وجده فى دين الإسلام ٠٠ الذى ماكدت أطرق باب البحث فى دروبه ومسالكه وأمسك بأول الخيط وأبدأ فى المقارنة بين الذى كنت أدين به وبين هذا الدين الحنيف حتى وجدت الجواب والضالة المنشودة وفصل الخطاب ٠٠
وجدت لكل سؤال جوابا شافيا ، وعثرت على ما لم يستطع أي دين سابق ، سواء كان ذلك الدين وضعيا أو منحدرا من الأديان السماوية أو مبداً من المبادىء الفلسفية إقناعى به من أسئلة حائرة امتلأ بها وجدانى ٠٠

ومن أهم هذه الاسئلة العقيدة فى الربوبية ، فوجدت الإسلام قد وضع كل شىء فى نصابه ٠
وإذ أعتذر إلى السيد القارىء إذ أنى لن استطيع الكتابة فى جميع نواحى الإسلام تفصيلا ، إلا أنى ملتزم بأن أتحدث فى موقف الإسلام فى إصلاح عقائد الألووهية والربوبية ، واعتراف المسيحية بالإسلام ونبيه ، ودليل نبوة محمد صلوات الله عليه لأن تلك المواضيع تعتبر الركائز الأساسية فى سر إيمانى بعد مناحى الشك التى كتبت عنها فى الفصول السابقة ، ذلك بعد الإشارة إلى اعتراف المسيحية بالإسلام ونبيه وبيان موقف الإسلام من المسيح والمسيحية ٠

الفصل الرابع عشر اعتراف المسيح والمسيحية بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

يقول السيد المسيح عليه السلام إنه جاء ليكمل ناموس موسى والأنبياء ولهذا أصبحت كتب المسيحية المقدسة هى العهدين القديم والجديد وأصبحت أسفار العهد القديم جزءا ضروريا ومقدسا لدى المسيحيين لأنهم يعتمدون على ما ورد فيها فى إثبات حقيقة إثبات حقيقة المسيح وولادته والوهيته وصلبه وما إلى غير ذلك مما ورد فى كتبهم، والعهد القديم يمثل التوراة التى يؤمن بها اليهود ، ولكن اليهود تبرءوا من النصوص الحالية لأسفار التوراة بعد استحداث التلمود ، وهو الكتاب المقدس لديهم ، وبعد أن قال المسيحيون اعتمادا على الأسفار: ليس اليهود على شىء ، وقالت اليهود بعد استحداث التلمود : ليست النصارى على شى ء ، على هذا قلنا وبنينا قولنا على أن الكتب المقدسة عند المسيحيين هى أسفار العهد القديم مضافا اليها الاناجيل والرسالات والأعمال التى قام بها تلاميذ المسيح وسميت بالعهد الجديد ٠ ولو رجعنا إلى هذه الكتب المقدسة التى توجد بين يدى مسيحى العالم على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وعقائدهم وأمعنا النظر فيها استظهارا للحقائق لوجدنا بين طياتها ما يشير اشارات صريحة إلى أن هناك نبيا سياتى بعد المسيح على ان يكون من صلب إبراهيم ، وسيكون من ولد إسماعيل بن هاجر .

ولكن قبل أن ندخل فى الموضوع لابد أن نمهد له حتى يكون القارىء على بينة من تسلسله إن سماه موضوعا ، أو تتضح له المناقشة إن سماه قضية تحتاج إلى دليل الاثبات ، والتمهيد يأتى من إنجيل يوحنا الذى يقص علينا أن يوحنا المعمدان عندما ذهب , ليعمد الناس من نهر الأردن ، وكان ذلك فى عهد السيد المسيح. عليه السلام ، فتصدى له اليهود المكتوب عندهم فى التوراة أن المسيح آت وسيأتى بعده نبى ، وسألوه سؤالا ورد

فى الإصحاح الأول الآية ٢٥ من الإنجيل المذكور * فسألوه فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ! ولا إيليا ! ولا النبى !؟ * ٠
من سؤال اليهود ليوحنا نستطيع أن نستنتج أن هناك نبيا بشرت به كتبهم حيث أن السؤال كان فى عهد السيد المسيح وأن ايليا كان نبيا من أنبياء بنى إسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح ، وقيل إنه النبى الذى أوجد فكرة التعميد التى كانت جزءا من دعوته ٠ والجدير بالذكر إشارة لا موضوعا ، أن فكرة التعميد التطهير فى مواعيد محددة وانهار محددة كانت عند الهنود ولا زالت حيث يغتسلون فى بعض الأنهار المقدسة عندهم فى أعيادهم لانها شعيرة من شعائر البوذيين التعبدية ٠
اذن كانت هناك ضرورة للبحث عن الإشارة إلى النبى فى كتب اليهود أي أسفار العهد القديم الذى يعترف بها يوحنا صاحب الإنجيل ، وبالبحث وجدنا اشارات كثيرة فى مواضع متفرقة ولكن لضيق المقام من حيث أن هذا الكتاب يبين سر إيمان مؤلفه بالإسلام وبذلك كان لابد ان يطرق عدة مسالك لتوضيح السر وربما كان قى النية اخراج كتاب يقف موضوعه على الاعتراف بنبوة المصطفى صلوات الله عليه.عند أهل الكتاب ، ولأن البحث بدأ بأن النبى من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، اكتفينا باثبات النقطة الثانية وايراد الاشارات المثبتة لذلك ٠
فقد وردت فى سفر التكوين قصة السيدة هاجر زوجة سيدنا إبراهيم التى سكنت بولدها فى صحراء العرب التى أشارت اليها التوراة باسم * برية ، فاران ٠٠ كما جاء فى الآية ٢٠ ، ٢١ فى الإصحاح الحادى والعشرين * وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية ٠ ٠ ٠ وسكن فى برية فاران* ٠
وهذا لا يختلف مع القرآن الكريم فى سورة إبراهيم . على لسان إبراهيم عليه السلام : * ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم

يشكرون* . والقرآن حين ذكر على لسان إبراهيم * أسكنت من ذريتى * إشارة إلى ما ورد فى نفس الإصحاح من نفس السفر فى الآية الثامنة عشرة : * قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة * ٠
وهنا إشارة يجب إلا نغفلها ، أن إبراهيم أمر بذبح ابنه كما أجمعت الكتب السماوية ، وإن اختلف المسيحيون والمسلمون فى تسمية هذا الابن ، فقال الأولون انه اسحاق كما ورد فى سفر التكوين وقال الآخرون أنه إسماعيل ، ولكن اليهود أصحاب التوراة الحقيقيين قالوا فى (التلمود) إنه إسماعيل ، ويزيدنا تأكيدا أنه إسماعيل الذى افتداه الله بكبش عظيم ما ورد فى سفر أشعياء الإصحاح الستين الآية السابقة * كل غنم قيدار تجتمع اليك . كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى وازين بيت جمالهم* وقيدار ونبايوت - كما ذكرتهما التوراة - انهعا من أولاد إسماعيل وقد سماهما باسمى مكانين يقعان بين جبل عرفات(الذى كان يقال له قيدار لعظيم قدره) وسيدى عرب مكان تشترى منه ذبائح الفداء بالقرب من مكة (الذى قيل له إنه (نبايوت) أي مكان الذبح نسبة إلى أن إبراهيم أمربذبح إسماعيل فى هذا المكان ٠ وقيدار ونبايوت اسمان كلدانيان وردا على لسان إبراهيم الذى كان يسكن أور الكلدانيين بجوار العراق وهو أول من أدخل اللغة للكلدانية إلى شبه جزيرة العرب ٠ اذن فإسماعيل الذبيح وهو الذى سكن أرض فاران ، والنبى سيأتى من سلالة إسماعيل ٠ ويزيد على ذلك أنه يثبت أنه من بنى زهرة وأن بنى زهرة ترجع فى الأصل إلى نبايوت بن إسماعيل ، والذى يزيدنا تأكيدا ان سفر التثنية ، وهو من الأسفار التى كتبت يعد رحيل موسى إلى ربه ، وضع سلسلة جميلة للانبياء وأعاد ذكر فاران بعد إشارة بيت لحم مكان مولد السيد المسيح عليه السلام حيث قال فى الإصحاح الثالث والثلاثين :جاء الرب من سيناء (مكان تكليم موسى)وأشرق لهم من(بيت لحم)وتلالأ فى فاران (مكة) .

إذن النبي مو محمد الذى جاء من سلالة إسماعيل والذى ولد فى بطحاء فاران (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) وهو النبى الذى أشار إليه الكتبة والفريسيون فى سؤالهم ليوحنا المعددان كما ورد في إنجيل يوحنا ٠
وكما اشارت التوراة أشارت كتب العهد الجديد ، إلا اننا قبل الدخول في اعترافات رسائل العهد الجديد نقول: انه وردت عبارات وكلمات فى الأناجيل المكتوبة باللغة القبطية كلمات (الفاراقليط، ومسيا) والأولى جاءت فى عبارة فى الإنجيل المخطوط الذى كتبه أحد البطاركة فى سنة ٥٠٦ بعد الميلاد على لسان السيد المسيح ومعناها : (الآتى بعدى يسمى الفاراقليط بندكراطور) أي الروح المنشق اسمه من اسم الحمد سيبعث الحياة فى أمة. ليست لها من الحياة نصيب إلا الضلال فى برية (فاران كجحاش الآتن * . سبق ان أشرنا ان برية فاران هى صحراء شبه جزيرة العرب (وأما الكلمة الثانية (مسيا) وردت فى إنجيل برنابا ومعناهه (الرسول) وهى كلمة عبرية من اللغة العبرية القديمة التى ترجع أصولها إلى اللغة الكبدوكية احدى اللغات التى كتبت بها الأناجيل وبشر بها حواريو المسيح ٠
ولم يرو التاريخ من قبل أن نبيا أتى باسم (مسيا الفار!قليط بندكراطور) إلا رسول الله محمد الذى يتبين ان اسمه منشق من اسم. الحمد ٠
ويزداد الأمر وضوحا حينما ندخل إلى الأناجيل لنرى أن السيد المسيح أشار إلى هذا النبى فى أكثر من موضع على أنه الحجر الذى رفعه البناءون تارة ، وتارة يشير إلى أن الكتاب الذى سينزل عليه يكون الكل أي المتمم الخاتم لجميع الكتب السماوية ، وتارة أخرى يشير إلى أمته على أنها الأمة التى ستنتزع ملكوت السموات وتعمل له وتجنى ثماره ، ومرة أخرى يشير إليه على أنه روح الحق المعزى الذى يرشد الناس إلى جميع الحق ، الذى لا ينطق به عن هوى انما هو يوحى إليه .

ففى إنجيل متى الأصحاح الحادى والعشرين الآيتين الثانية والأربعين والثالثة والأربعين جاء على لسان السيد المسيح * أما قرأتم قط فى الكتب ، الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب ٠ كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل ثماره * ٠

---

(١) الإنجيل المخطوط منزوع الغلاف ، وقال كاتبه فى ديباجته أنه نقلا من أصول الإنجيل الحقيقى ٠

ان هذه الفقرات تشير إلى تبشير السيد المسيح بالنبى محمد صلوات الله عليه والذى يصفه بأنه الحجر رأس الزاوية أي المتمم للبناء الذى بدأ به الأنبياء والمرسلون من آدم حتى المسيح عليهم جميعا السلام ، ون هذا النبى سيرفضه قومه لانهم لا يعرفونه لعمى أصاب بصائرهم ورين طمس على قلوبهم مع أنه من قبله (الرب) الله ، وكذلك اليهود والنصارى وذلك واضح فى انه الخطاب موجه للسابقين واللاحقين ، كما يشير المسيح إلى الدهشة التى ستستولى على القوم الذين يبعث فيهم ، ولكنه يقول : إن أمة هذا النبى ستكون خير الأمم بعملها وايمانها الذى يجعلها جديرة بانتزاع ملكوت السموات ، وذلك عن طريق الإعتراف بجميع الرسل بما فيهم المسيح المكمل للناموس كما علمهم القرآن فى سورة آل عمران : (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) ٠
ومن هنا آمن المسلمون بما أنزل إليهم من ربهم والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرقون بين أحد من رسله وذلك ما ورد فى سورة البقرة * آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا

نفرق يين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير *٠
وبهذا الإيمان ، وبانتزاع ملكوت السموات استحق المؤمنون من أتباع ذلك الرسول صلوات الله عليه والذين يكرمون كل تكريم من الله الذى خاطبهم فى سورة آل عمران * كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله* ٠
وفى نفس الإنجيل فى الاصحاح الخامس الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة قال المسيح : ٠ ٠٠ فانى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل * ٠
والكل هنا كما سبقت إليه الإشارة هو القرآن الكريم الذى فيه نبأ السلف وأخبار الخلف ، فيه قصص من سبق من الأنبياء وابتلائهم على أيدى أقوامهم . فيه هدى للمتقين ووعيد للكافرين. وتنظيم للحياتين الدنيا والآخرة روح من رب العالمين نزل على قلب بشر لم يؤت من قبل فنون الكلام ، وما كان يدرى ما الكتاب ولا الإيمان كما جاء فى سورة الشورى : * وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وأنك لتهدى إلى صراط مستقيم*
وقد ورد فى نفس الإنجيل الإصحاح الأول أن المسيح من سلالة إبراهيم عليه السلام وأنه جاء لخراف بنى إسرائيل الضالة* وبحن نعرف أن إسرائيل (يعقوب) عليه السلام ابن إبراهيم عليه السلام ، وكذلك النبى محمد هو من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وأنه جاء ليتمم الرسالة التى بدأها جده عليه السلام . جاء للناس كافة يدعوهم إلى عبادة الله وحده والتمسك بدين إبراهيم ورسالة الحنيفية السمحاء كما أمر من ربه فى سورة آل عمران : أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين * .

والمسيح عليه السلام لم يأل جهدا فى التأكيد بمجىء النبى عليه الصلاة والسلام ذلك النبى روح الحق المعزى الذى يكون رحمة للعالمين ٠
*** إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد ، روح الحق المعزى الذى لا يقبله العالم لأنه لا يعرفه * ٠**
وإشارة المسيح تحمل معنى واحدا لا يحتمل أي تأويل هو أن ذلك الروح الحق المعزى جاء للناس كافة لان كلمة العالم تشير إلى الجمع أي إلى أهل الأرض جميعا ٠
وقد أراد بعض أعداء الإسلام أن يضربوه بسهامهم فارتدت تلك السهام إلى نحورهم ، ارادوا به كيدا فإذا هم الأخسرون ، أرادوا أن يقولوا ان الروح هو كتاب من عند الله فجاءت اشارتهم إلى القرآن وهم لا يعلمون .
فإذا كان الروح بشرا نبيا فهو محمد الرسول المرسل رحمة للعالمين ولن ترضى عنه اليهود ولا النصارى ، كما جاء ان العالم سيرفضه لأنه يرفض أن يتبع ملتهم التى استحدثوها وابتدعوها كقول الله فى سورة البقرة : * وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم * ٠ وكما جاء فى سورة ١الأنبياء : وما أرسلناك الارحمة للعالمين* ٠
: وان كان كتابا منزلا من عند الله فهو القرآن الكريم الذي نزل على صدر محمد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، آية فى الإعجاز ٠
ودليلنا على نبوة خاتم المرسلين ، الذى أوحى به إليه تفصيلا من رب العالمين وروحا من أمره كما هو فى الآية التى وردت فى آخر سورة الشورى وأشرنا اليها فى الصفحات السابقة : * وكذلك ٤وحينا اليك روحا من أمرنا ٠٠٠ * الية ٠
والمعلوم أن كل رسول يأتى إلى قومه برسالة تتفق وظروفهم وتتناسب وعقولهم وبيئاتهم ، وكل نبى من الأنبياء لرسالته

حدود لن يتعداها ، لأنه أمر ممن سبق علمه أن إدراك ومفاهيم خلقه فى ذلك العهد لا تحتمل اكثر مما ألقى إليهم من رسلهم .
وهذه الملاحظة أشار اليها السيد المسيح عل السلام فى عبارته : * إن لى أمورا كثيرة أيضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لانه لايتكلم من نفسه ، يكل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية * ٠
والمسيح يبصر أمته بأن لديه أسرارا كثيرة تفوق طاقة احتمالهم وأنه سيأتى الوقت المناسب لمجى ء الرسول الذى يعنيه بالروح الحق، فتكون العقول قد تفتحت ، والقلوب قد ذهب عنها رينها والنفوس قد ألهمت بعد فجورها بتقواها ، فى هذه اللحظة ققط يكون الناس قد استعدت أفهامهم واتسعت مداركهم لاحتمال كل ما يلقى إليهم على لسان هذا النبى الذى لا يتكلم من نفسه ٠ إنما من وحى يوحى إليه ٠
اذن المسيح يشير إلى محمد صلوات الله عليه الذى أوحى إليه من ربه بالقرآن الذى نزل * تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين *لا من نفسه إنما هو وحى يوحى إليه * وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى* ٠
وبعد هذا السرد الموجز الذى سمح به المقام نختتم بإشارة لها قيمتها من حيث تدعيم ما سبق سرده ، وهذه الإشارة نأخذها من كتاب * المسيح الصريح * الجزه الأول ص ١٧٣ للمؤرخ الالمانى Lodtig لودفج ٠ وهذا المؤلف الذى يحتوى على أربعة أجزاء والمترجم من اللغة الألمانية إلى عدة لغات منها اللغة الانجليزية التى أخذنا منها نص القصة التى سنوردها لتكون من أكبر الأدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتى تقول : * ذهب وفد من مسيحى العرب الذين كانوا يسكنون يثرب إلى نبى العرب محمد وكان الوفد مكونا من ثلاثة أشخاص أولهم يسمى * عبد المسيح * وكان أمير قومه والثانى يسمى * آثيؤس

*** وكان مسجل أصول الأسر وسلسلة النسب ، والثالث يدعى * ميتاؤس * وكان أسقفا وسط قومه يشار إليه بالبنان .**
٠ وكان * ميتاؤس * متعجرفا ظهرت صورة عجرفته فى امتطائه ظهر بغلته وهو يحدث النبى ، وفى جوار بغلته وقف أخوه ايكوزناس الذى اهتز غضبا لظهور معجزة لهذا النبى بأن غاصت أرجل بغلة * ميتاؤس * فى الرمال مما جعله يوجه ألفاظا نابية الى محمد . مما جعل * ميتاؤس * يعنف أخاه *الكوزناس * ويقول له : إن الكتب التى لدينا تقول ان هذا نبى ، ولولا شرفنا فى قومنا وخوفنا من ضياع هيبتنا بين الرومان الذين يعينوننا بالأموال لاتبعناه وبشرنا به بين قومنا ٠
وبالمرجوع إلى كتب السيرة الإسلامية وجدنا أصلا لهذ القصة فى سيرة النبى لابن هشام وزادت أن كوزناس أسلم وسمى (كوز بن علقمة) وبشر بما سمع من أخيه ٠
وفى الكتاب ذاته فى الصفحة رقم ٣٠٨ يروى للكاتب أن أحد الرهبان قال ان صفات محمد مكتوبة عندهم فى الوضائع المختومة التى لا يمكن أن تكون فى تناول اليد ، ولم يشر المؤلف إلى أسم الراهب ولا إلى اسم المكان الذى حفظت فيه هذه الوضائع .
اذن محمد صلى الله عليه وسلم نبى وزسول وهو خاتم الأنبياء ومتمم الأنبياء ومتمم الناموس الذى نزل عليها الكتاب المتمم للناموس وهو الذى أشار إليه السيد المسيح عليه السلام ، على أنه هو الروح المعزى ، والحجر رأس الزاوية المتمم لجميع نواميس الأنبياء وخاتم المرسلين ٠
*** ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انلك لا تخلف الميعاد *٠**

الفصل الخامس عشر موقف الإسلام من المسيح والمسيحية

من الحق المكتسب للقاريء الذى عرف فى الفصل السابق اعترافات المسيحية وتنبؤات السيد المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يقف على رأى الإسلام فى المسيح والمسيحية ، ولذا كان من الضرورى أن نوضح ذلك ولو فى عجالة موجزة تفى بالغرض المطلوب ·

قلنا فيما سبق أن الإسلام دين الناس كافة اعترف بما سبقه من الأديان والرسل ، وأشرنا إلى آيات الإيمان بما أنزل على الرسل لاتفرق بين رسول ورسول ، وفى مواضع متعددة تجل عن الحصر تعرض القرآن لذكر الأنبياء ورسالاتهم وأخبار أقوامهم معهم وما لاقوه فى سبيل تبليغ رسالاتهم . بل تعرض إلى صفات كل نبى ، فقد ورد عن إسماعيل أنه صادق الوعد وكان نبيا . وإبراهيم أنه لم يكن يهودياً ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، هكذا عرض القرآن صفات كل نبى والغاية من بعثه فى قومه ، والمعجزات والآيات التى صنعها الله على يديه ·

ففى سورة آل عمران حدد الله شخصية المسيح الإنسان بقوله: * ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون* ·

وفى سورة النساء يوضح لنا موقف المسيح من ربه ، ومدى اعتزازه بالعبودية لله عز وجل فيقول * لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا * ·

وفى سورة المائدة ينعت الله الذين ألهوا المسيح بالكفر ' ويتوعدهم بالعذاب الأليم بقوله جل ثناؤه . لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم · قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد الله أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى

الأرض جميعا ٠ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير)* ٠
ومع ما وصف الله به الذين قالوا إن المسيح إله إلا أنه لم ينقص المسيح وأمه شيئا ، فقد أعلى منزلة مريم إلى درجة الاصطفاء والتطهير بقوله تقدست أسماؤه وتباركت آلاؤه فى سورة آل عمران : * واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * ٠
ومع هذا الاصطفاء والتطهير ، وزيادة فيهما وتكريما لها يأمرها بما أمر عباده المرسلين والمخلصين * يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين * ٠
وفى سورة المائدة يحدد صفة المسيح وماهيته ووظيفته ثم تقتضى حكمة الحكيم إلا يترك قولا لجاحد مفتر ، فيحدد صفة مريم أم المسيح بقوله عز شأنه : * ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون * ٠
وفى سورة مريم نجد القرآن قد أورد وصف المسيح ومقامه على لسان المسيح نفسه : * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ٠
وفى نفس السياق يعقب الله عز وجل على قول عيسى عليه السلام فى سياق قرآنى بديع من أروع أمثلة الحجاج القرآنى فيقول سبحانه وتعالى فى نفس السورة : * ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ٠ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون* ٠
وفى أسلوب ربانى يسوق الله الحجة على لسان عيسى عليه السلام حين يسأله صاحب العلم بالاجابة جل جلاله فى سورة المائدة : * واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟* ٠

فيجيب عيسى عليه السلام باجابة كلها خضوع لله وخشوع واقرار بالعبودية واعتراف بالوحدانية : * قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد * ٠
ثم يفوض أمرهم إلى خالقهم بقوله : * إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم * ٠
شتان بين موقف أتباع المسيح ومن يدعون أنهم أتباعه وحواريوه وبين موقف القرآن الكريم من المسيح ، فقد أساء إليه الذين يقولون أنهم تلاميذه وحواريوه حين ألهوه وأمه بقولهم إنه إله وإنها والدة الإله ٠
ولكن الله الذى يجتبى رسله أبى إلا ان يكرم المسيح فى رسالة محمد بن عبد الله ، فقد كرمه القرآن أعلا تكريم ووضعه فى أعز المنازل بين أقرانه من الأنبياء والمرسلين ٠
فتارة يصفه بأنه البشير النذير وكلمة الله إلى مريم ، والوجيه فى الدنيا والآخرة ، والقربى من الله عز وجل فى الدارين فيقول عز وجل فى سورة آل عمران على لسان الملائكة إلى مريم : *ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين * وفى نفس السورة يخاطب الله عيسى عليه السلام : * إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة * ٠
وفى سورة النساء يصف الله نبيه أنه روح من الله بقوله تعالى: * انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه* ٠
وفى سورة المائدة بين الله عز وجل رسالة عيسى إلى قومه ومركزه فى ركب الرسل الذين أتوا من عند الله رسول تلو

رسول فقد قال صاحب الاسماء الحسنى : * وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين * ٠
ولقد ايد الله المسيح عيسى بمعجزات وآيات بينات ثبت بها فؤاده ونصره على قومه ، كما جاء فى سورة المائدة : *(اذ قال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ٠ اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ٠ واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى ، فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الاكمه والأبرص بإذنى ، واذ تخرج الموتى بإذنى ، واذ كففت بنى إسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات ٠ فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين، واذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون * ٠
ويدافع الله عن نبيه ويكفر من قال بألوهيته فى سورة المائدة * لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم * ٠
وفى نفس السورة يقول الله على لسان عيسى المسيح الذى يأمر أتباعه أن يعبدوا الله وحده : وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من انصار * ٠
ويتضح رأى الإسلام فى التثليث حيث يقول الله عز وجل فى سورة المائدة : * لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم* ٠
وكما قدمنا ان البنوة بالنسبة للخلق جميعا جرأة مجحفة فى حق الله عز وجل ، وبنوة المسيح لله شرك ٠ وقد فند القرآن هذه المزاعم فى سورة المائدة حينما رد على اليهود والنصارى حين قال الأولون انهم شعب الله المختار ، وقال الآخرون نحن أبناء

الله بقوله تعالى : * قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير " ٠
ثم يفند القرآن مزاعم القوم فى نقطة حساسة نقطة صلب المسيح عليه السلام فبعد أن يبرىء المسيح وأمه يشير إلى أن قومه اعتبروه شخصية وهمية بنوها على الظن ثم يرد اعتباره إليه وذلك فى سورة النساء يقول الله عز وجل : *وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ٠ ما لهم به من علم إلا أتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ٠ بل رفعه الله إليه ٠ وكان الله عزيزا حكيما * ٠
والقرآن يوجه فصل الخطاب وينادى أهل الكتاب أن الله واحد لا شريك له ، واحد فى الذات والصفات ، فليستمعوا إلى الأمر ويوحدوا ربهم ويؤمنوا به وينتهوا عن الافتراءات ، فيقول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء : *فآمنوا بالله ورسوله ٠ ولا تقولوا ثلاثة ٠ انتهوا خيرا لكم ، انما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ٠ له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا * ٠
هذا موقف الإسلام ، الرسالة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام من عيسى المسيح عبد الله ورسوله ، وذاك موقف الذين يدعون أنهم يؤمنون بالمسيح فأى الموقفين أكرم ؟
مما لا مرية فيه أن ما ورد فى القرآن هو قول الحق الذى فيه يمترون فإن ينتهوا فهو خير لهم ، والله ليس بغافل عما يفترون ٠
ولا يفوتنا فى هذا المجال ان نذكر موقف الإسلام من الأمة المسيحية بعد أن وضح موقفه من المسيح ، لأن الإسلام دين الحق الذى بعث الله به محمدا ليظهره على الدين كله ، كان

حتما أن يكون موقفه موقف الذى يريد أن يجمع شتات القوم بدعوته إليهم ليدخلهم فى حظيرة الإيمان ٠

فبعد أن دعا الله النصارى بجميع أساليب الحجة وافانين الدعوة الحسنة إلى الإيمان ، كدعوة الله إليهم ، بأن أمر نبيه مثلا أن يناظر وفداً من نصارى نجران فى سورة آل عمران : * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين* ٠
وبعد أن دعاهم إلى الإيمان بالله فى محاجة سليمة فى نفس السورة : * قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبيئكم أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * ٠
بعد هذا كله لم نجد أن الإسلام إلا وقد أمر المسلمين بالمودة والاقساط إليهم ٠ ولم يجردهم من حقوقهم فى المجتمع وإن قول الله تعالى فى ذلك لأبلغ مما نقول : * لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * ٠
وكما كان موقف القرآن كان موقف محمد صلوات الله عليه ، فقد جعل لهم ما للمسلمين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من الواجبات ، وأمر بصيانة معابدهم ، وأعطاهم حرية العبادة ، فلم يهدم صومعة ، ولم يحرم على عابد عبادته ، بل نزلت الآيات فى القرآن الكريم تفرق بينهم وبين اليهود الذين آذوا المسلمين ، وكانوا فتنة ، وان أبلغ وصف للمسيحيين لتجده فى سورة المائدة قول الله تعالى : * لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين * .

وهكذ كانت دعوة الإسلام كلها سماحة لانها الحنيفية السمحاء ، تقررحرية الأديان ، حرية العبادة ، تكفل الحرية والمساواة لأتباع المسيح ماداموا على دفع الجزية ، فى الوقت الذى يدفع فيه المسلمون الزكاة ٠

والفرق بين الجزية والزكاة ، أن الجزية يدفعها دافعها كضريبة للدولة التى تحميه وتكفل له الحياة الحرة ، وأما الزكاة فهى فرض عين على كل مسلم وهى ضمن الشعائر التعبدية يدفعها دافعها بوحى من الإيمان وبوحى من الضمير ٠

نعم ان الإسلام كرم المسيح والمسيحيين ، وقدم إليهم الأكف مفتوحة للدخول فى دائرة الإيمان الصحيح ، ألم يكن حقا على كل منصف أن يتذوق حلاوة الإيمان ويأتى إلى كلمة سواء هيأت له الحياة فى الدارين ، نعم إن ذلك دين القيمة ، نعم رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد نبيا ورسولا ، اللهم إنى أشهدك وأشهد جميع خلقك وملائكتك أنك أنت الله ربى لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك ٠

الفصل السادس عشر منهج الإسلام في إصلاح عقائد الألوهية والربوبية

وجدت كل ما درست من أديان قبل دراستى للإسلام قد انحرفت بعقائدها انحرافا شنيعا ، ولم يكن هذا الإنحراف وقفا على الأمم الوثنية ، بل طغى أيضا على أصحاب الأديان السماوية ، حيث قد لعبت أيدى القيادات الدينية فى كتب الانبياء والمرسلين ، فحرفوا فيها وبدلوا وغيروا متعمدين بسوء نياتهم ، وشوهوا جلال التوحيد فى كتب هؤلاء الأنبياء وشرائع المرسلين ودرست هذا الشلال الشائع فى عقائدهم والمستولى على تدينهم ، حتى ثبت إلى رشدى وبدأت أتنسم رائحة هذا الضلال وبدأت الدرس والبحث والتمحيص حتى وصلت إلى دراسة الإسلام . فوجدت أن الإسلام قد حرر العقول من الأباطيل والخرافات ، وأصلح ما ضل من العقائد وما فسد من الأعمال ، وكشف عن جنايات المتلاعبين والمخرفين والمبدلين وتجار الأديان ، وكان إصلاح ما أفسدته هذه الشرذمة الخارجة عن رحمة الله أول ما عنى به الإسلام وهو تصحيح هذه الأوضاع الفاسدة ، لأن تصحيح هذه الأوضاع هو من أهم الأسس فى كل تشريع سماوى .

فقد عنى القرآن الكريم بتوضيح عقائد الألوهية والربوبية عناية كبرى، فى أساليب أخذت بمجامع القلوب والعقؤل البلاغية وقوتها الروحية القدسية ، واشتمالها على قضايا العقل والعلم ، وودائع الفطرة والوجدان ، وتصويرها للمعانى والأحكام فى إبداع مما لا يدع حجة لمحتج ولا معذرة لمعتذر .

ولقد عالج القرآن هذه الأمور - أمور الألوهية بأساليب متعددة نأخذ منها على سبيل المثال لا الحصر:

وجه العقول والأفكار إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وما فيها من الآيات الكونية والأدلة العلمية على وجود الله الذى خلقها، وكيف تجلت قدرته وعظمته وهى تشهد بذلك كما قال

سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران : .. * ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب* ·
وفى سورة ق : * أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ·
وفى سورة الذاريات : * وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون * ·
وفى سورة يس : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا اليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون* ·
إن هذه الآيات ومئات الآيات الواردة فى القرآن الكريم صحفا نقرا فيها دلائل وجود الله عز وجل ، ونطالع فى كلماتها قدرته جل جلاله فى الخلق والتدبير وجماله تبارك وتعالى فى بدائع: الموجودات ·
فالعوالم الكونية هى الرياض الفيحاء التى تتفتح فيها براعم الأحاسيس والمشاعر ، ومسرح من مسارح تبصرة القلوب النقية. والبصائر المستنيرة ·
فإذا نظر الإنسان إلى نفسه وكيف خلق من العدم ، وكيف خلق أطوارا فى بطن أمه من نطفة فى قرار مكين ، إلى علقة ، ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثم جعل الله المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، وفيما أجرى عليه فى نشأته وحياته ، فى طفولته وشبابه ومشيبه ، فإذا به مشمول بالعناية الإلهية .
ثم نظر إلى الأرض كيف جعلها الله فراشا وأنزل عليها الماء فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ثم قال للإنسان في سورة الملك : * هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور* ·

ثم نظرإلى السماء كيف أحكم الله بناءها ورفعها بغير عمد تراها ، وإلى الشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل   اذا يغشاها ، وإلى الكواكب فى لمعانها وهى تسبح فى أفلاكها بحمد خالقها ومبدعها لقوله تعالى فى سورة الإسراء : * تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا *٠

أو تدبر قول الله فى سورة الواقعة : * فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * وفى سورة الحاقة : * فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون * وأدرك مافى هذا القسم الإلهي من توجيه للنظر وإيقاظ للفكر وإثارة للعبر ، وتنويه بشان هذه المواقع التى أقسم الله بها ، ومافيها من الدلائل على عظمة المبدع وجلال الخالق ، وأخذ يفكر فى عظم هذه المواقع التى أعظم الله شأن القسم بها ، ويسائل نفسه عن مدى هذه العوالم التى لا نبصرها ولا نعلمها وعرف ان منها ما يحيط بنا ويشاركنا فى وجودنا وحياتنا ولكنها لا تزال محجوبة عن العلم رغم اتساعه وتقدمه ومنها ما يغيب عنا وراء حجب الغيب وأبعاد الفضاء ، فلا تدركها الأبصار ولا تحيط بعظمتها العقول والأفهام اذ لا يحيط بالعوالم الكونية إلا الذى خلقها وأبدعها ٠

إذا هدى الإنسان إلى كل هذه الأنظار أو إلى بعضها ، فانه يجد نفسه منساقة بدافع قوى من عقله وفكره ، وجاذب شديد من ضميره ووجدانه إلى الإيمان بالله الصانع المقتدر الذى خلق هذه العوالم الكونية بقدرة ومشيئة العليم الخبير الذى أحكم تقديرها وتنظيمها بعلمه وإرادته ، المدبر الحكيم الذى يدبر أمورها ويصرف شئونها بحكمته ورعايته ٠

ومن هنا نجد أن طريق الوصول إلى معرفة الله والإيمان به واضح المعالم قريب المنال ، متى صلحت القلوب واستنارت البصائر ، وتحررت النفوس من ظلمة الجهل وطغيان الهوى ،

واستقامت العقول فى نظرها وتفكيرها واتجهت بمقاصدها إلى طلب الحق والكمال وصحة الاعتقاد ، وخضعت فى أحكامها لدلانة الحجة والبرهان ، واستجابت فى تفكيرها لوحى الفطرة والوجدان فان وجود الله تعالى ماثل أمام العقول فى جميع الكائنات ، والإحساس بألوهيته وربوبيته كامن فى أعماق النفوس ، والشعور بعظمته وجلاله منبث فى حنايا الضلوع .
ولكن أكثر الناس ضلوا عن هذه الحقائق وهى على كثب منهم · فريق حجبه إلف العادة أو ظلمة الجهل والتقليد الأعمى عن الاستماع لوحى الله أي وحى الفطرة والوجدان ، فغفل عن النظر غى آيات الله الكونية فعموا عن دلائلها التى تطالعهم بها فأصبحوا عنها معرضين كما قال تعالى فى سورة يونس : * وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون * ، وفى سورة يوسف : * وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون* ·
وفريق حجبه عن هذه الحقائق مرض القلوب ، واعتلال البصائر وانحراف العقول فى نظرها وتفكيرها ، والخضوع لسيطرة الأهواء وطغيانها ، والإقبال على شئون الدنيا والإعراض عن شئون الآخرة ففرحوا بالحياة الدنيا وكفروا بآيات ربهم ولقائه ، وضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يما يشير إلى ذلك قول الله تعالى فى سورة الرعد : * وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع * وفى سورة الكهف : *قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالمهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا* .
وقد وجه القرآن الناس إلى البراهين العقلية على وحدانية الله عز وجل وأنه تعالى لا إله غيره ولا رب سواه ، كقوله تعالى فى سورة المؤمنون : *ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ،

اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون* ، وفى سورة الإسراء : *قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا * ، وفى سورة الأنبياء : * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون * ٠ ٠

إن الخلق والإيجاد ،والقهر والغابة ونفوذ السلطان والإرادة هى من أخص شئون الألوهية وصفات الربوبية فلا يجوز فى حكم العقل أن يكون الإله عاجزا مغلوبا على أمره أو مقهورا لسلطان غيره خاضعا لإرادته لمنافاة ذلك لصفات الألوهية والربوبية ، فلو كان مع الله آلهة كما يزعم القائلون بتعدد الآلهة، لوقع التنازع والتصادم بينهم فى الأفعال والإرادات ، والنفوذ والسلطان ، ولذهب كل إله بما خلق واستقل بتدبير أموره وتصريف شئونه ، ومنع غيره من الاستيلاء عليه أو التصرف فى شئونه ، ولعلا بعضهم على بعض بالقهر والغلبة وتنازع السلطان ، ولطلبوا سبيلا للوصول إلى صاحب العرش وهو الله جل جلاله الذى أخبر على ألسنة رسله بأنه هو مالك الملك وحده ، ليقاتلوه وينازعوه الملك والسلطان والنفوذ ٠

كما وجه القرآن إلى الأخذ بالفطرة السليمة ، ومراجعة الضمير والسريرة كما اخذ الحجة من المعاندين ليقيمها عليهم بما يعترفون به فى قرارة نفوسهم وما يعلمونه حق العلم بوحي فطرهم وأحاسيسهم كقوله تعالى فى سورة العنكبوت : * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض و, سخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون * ٠ وفى سورة يونس : * قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى، ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون، فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون* ٠

يتبين من الآيات أن رسول الله صلوات الله عليه بلي بهؤلاء الذين زاغوا عن فطرتهم مما جعل الله سبحانه وتعالى يسألهم

على لسانه ، عمن خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ، ومن يرزقهم من السماء والأرض ٠ ومن يملك الأسماع والأبصار خلقا وحفظا ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر أمر الكائنات كلها وهو يعلم سبحانه وتعالى بأنهم سيجيبون ويعترفون بإسناد ذلك كله لله .
ويقررالقرآن عقائد التقديس والتنزيه عن صفات الحوادث كما فى قوله تعالى فى سورة الأنعام : * بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ؛ ولم تك له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم * ٠ وفى سورة مريم : * وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدا، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر إلجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولجا إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا * ٠ وقوله تعالى فى سورة الاخلاص : قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * ٠
فالله جل جلاله واحد فى ذاته العلية منزه عن التركيب والتجسيم والتحيز وهو سبحانه الصمد ، أي السيد الذى ليس فوقة سيد ، والذى يصمد إليه ويقصد فى الحوائج والمطالب ، و هو الغني المطلق الذى لايحتاج إلى شىء .ويحتاج إليه كل شىء ، والمقصود الذى يقصده كل كائن حى ، كل شى ء بإرادته * لم يلد ولم يولد * ، أي لم يلد أحدا ، لأن الوالدية تستلزم التركيب .والمجانسة، لأن الولد جزء من أبيه ٠ ومجانس له فى ذاته وصفاته ، ولم يلده أحد لأن المولودية تستلزم التركيب والمجانسة . المماثلة ، والحدوث وسبق العدم والله تعالى منزه ءن ذلك كله فهو واجب إلوجود الذى لا أول لوجوده ولا آخر لبقائه * ولم يكن له كفوا أحد * أي ليس أحد متكافئا ومماثلا له فى ذاته وصفاته وأفعاله بل هو الله وحده مثلما وصف نفسه تبارك وتعالى فى سورة الحديد: هوالأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم* ٠ أي السابق على جميع الموجودات بلا بداية والباقى بعد فنائها بلا نهاية ، والظاهر

وجوده فى بدائع الكائنات ، والمحتجب بذاته تعالى عن إدراك الحواس والعقول وهو بكل شىء عليم٠

ولم تقف عناية الإسلام بعقائد التنزيه والتقديس عند تقريرها وتفصيل أصولها ، بل حاطها بسياج من الاحتياط وسلامة الاعتقاد والتحفظ والاعتدال فى النظر والتفكير ، وسد على الوهم والخيال منافذ التشبيه ومسالط الزلل ٠ كما فى قوله تعالى فى سورة الأنعام : * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * ، وفى سورة طه : * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما * ، وفى سورة الشورى : * ليس كمثله شىء وهو السميع البصير * ٠

الى غير ذلك من الآيات التى تقرر أن الله جل جلاله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الحواس ٠ وتعالت ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك وتنزهت صفاته القدسية عن المماثلة ٠

ونبى الإسلام يشهد دائما لله بالوحدانية * إنما إلهكم إله واحد * كما أمر فى سورة الكهف : * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد* ، ومن هذا الوحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : * إن الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم * ٠

وكان الإسلام حريصا على عقائد الناس ولذا وجههم إلى التفكير فى صفات الله عز وجل وعدم التفكير فى ذاته العلية لأن ذاته العلية غير محاطة بزمان أو بمكان ، وذلك لقول الإسلام ونبى الإسلام صلوات الله عليه * تفكروا فى مخلوقات الله ولا تتفكروا فى ذاته * ٠

هذا هو منهج الإسلام فى الألوهية والربوبية ، وهذا موقف نبى الإسلام من الوحدانية ٠ وإنى قد آمنت بالله الواحد رباً ، وبمحمد نبيا ورسولا ورضيت الإسلام دينا وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام ٠

الفصل السابع عشر لماذا آمنت بالإسلام؟

لعل القارىء يقول عرفنا نواحى الشك التى استولت على المؤلف حتى ترك دينه ، ولكنا لم نعرف لماذا آمن بالإسلام ؟ ٠
وجوابى يا أخى القارىء على سؤالك يحتاج إلى مجلدات ضخمة وقد سبقنى بها أفاضل العلماء الذين حملوا مشاعل الدعوة الإسلامية ولكن لا يمنعنى هذا من أن أجيب فى ايجاز لأن هذا من حقك ٠ ٠
آمنت بالإسلام لانه دين التوحيد الخالص الذى دعا الناس إلى عبادة الله وحده ، ويتجلى ذلك فى نداء المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله * فيشهد الدنيا كلها أن لا إيمان إلا بإله واحد أحد ٠ خالق رازق ، قادر بيده الملك وهو على كل شىء قدير ،.وقد أفاض الله على من فضله فوضحت ذلك فى الفصل السابق ٠
آمنت بالإسلام لانه لم يضع الأغلال فى عنق الإنسان ولم يلزمه بخطيئة موروثة عن أب أو جد ، إنما الزمه طائره فى عنقه ليكون مجزيا عما قدمت يداه ، فيقول سبحانه وتعالى : * وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ٠ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ٠ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * (١)
واذا أخطأ الإنسان أو أذنب، لم ولن يغلق الله فى وجهه باب التوبة وإنما يقبل توبته له ويناديه كما ينادى جميع المذنببن : أن تعالوا إلى أيها المذنبون وأنا أتوب عليكم : * وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض * (٢) ٠
والإسلام يحب التوبة والله سبحانه وتعالى يأمر بها عباده إذ يقول : * يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا* هذا معنى يدل على شدة الرغبة فى أن يعود العبد إلى الله ويرجع إلى حمى الله ، ومن جهة أخرى نرى الحديث الشريف يقول : *

إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسى ء الليل حتى تشرق الشمس من مغربها *

---

(١) سورة الاسراء   (٢) سورة آل عمران

هذا تصوير رائع ، لأن بسط اليد كناية عن الطلب ، والطالب لابد أن يكون راغبا ولابد ان يكون متقبلا * وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات * بل إن الله سبحانه بشر عباده فى آيات مبشرات كثيرة * قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم ، (ويقول سبحانه : * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما * .

ولم يجعل الإسلام المغفرة وقفا على سفك دماء أو جريمة قتل ، ولم يجعل الله واسطة بين العبد وربه فى هذه التوبة حفظا للكرامة وإنه ليس بين العبد وبين الرجوع إلا أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ويندم (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار) ويقول لنا الحديث الشريف (إن الله سبحانه وتعالى اذا تقربت إليه ذراعا تقرب اليك باعا واذا أتيته تمشى أتاك يهرول) .

اذن ليس هناك شرط الإعتراف حتى تقبل التوبة والا فتصور أن امرأة أو فتاة مذنبة وقع منها أمر فاحش فجلست أمام كاهن أو راهب أو قسيس لتدلى إليه باعترافها وتقول له انى قد أذنبت ذنب كذا : زنيت أو فحشت أوما إلى ذلك ، اليست بذلك تعرض سرها لانكشاف وتعرض كرامتها للضياع وتعرض حصانتها للتزلزل وتجعل هذا الرجل باعتباره بشرا يطمع فيها ويعلم أنها من الصنف الذى يتقبل ؟

اين هذا من الإسلام الذى يقول (ونحن اقرب إليه من حبل الوريد) وصدق الله العظيم (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) ٠
آمنت بالإسلام لأنه لم يمتهن كرامة الإنسان ، ولم يجعل أحدا مهيمنا على أمور الدين فيقول لتابعه اتبعنى دون تفكير أو تعقل إنما جعل الإنسان حرا فى هذه الحياة لا ينحنى أمام الضغوط الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، لا يعرف غير واجبه نحو ربه٠
آمنت بالإسلام لأنه شرائع ونظم اجتماعية لا تعرف تضخما للجانب التعبدى عن الجانب الاجتماعى لقول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذك الله ، وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٠ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ٠ وعلى هذا النهج سار محمدعليه الصلاة والسلام وأصحابه وأتباعه يعملون للعقيدة والحياة فى آن واحد ، فيمزجون العقيدة بالحياة، ولا يقفون بها فى معزل وجدانى فى عالم الضمير -ويتضح ذلك من المثل الذى ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاء ثلاثة رجال، قال أحدهم : أنا أصلى الليل كله، وقال الثانى : وأنا أصوم الدهر. كله ولا أفطر ، وقال الثالث: . أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ٠ ولكن اصوم وأفطر وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى) روا ه الشيخان والنسائى ٠ آمنت بالإسلام لأنه حض على العلم والتعلم، بل جعله فريضة مقدسة واجبة الأداء حيث قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (١) والأحاديث النبوية كلها تحض على العلم وتحث عليه فعنه صلى

الله عليه وسلم * طلب العلم فريضة على كل مسلم* (١) .
والإسلام لم يلزم المسلم ان يتقيد بنوع من أنواع العلوم دون غيره كما لم يفرض عليه طقوسا يؤديها دون تفكير أو مناقشة لكنهها لأنه دين الفطرة الذى لا يعتمد على الغيبيات وخوارق العادات والأمور ، انما قام على المشاهدة والتأمل والتفكر والتدبر .

---

(١) سورة التوبة
(٢) رواه البيهقى وابن عبد البر ، قال السخاوى فى المقاصد الحسنة : قد ألحق بعض المصنفين بأخر هذا الحديث و*مسلمه* وليس لها ذكر فى شىء من طرقه وإن كان معناها صحيحا اه ص ٢٧٧ .

ولذا نجد الله سبحانه وتعالى فى القرآن يخاطب بعد ذكر العوالم الكونية ، وتطورات الخلق - أولى الالباب - لقوم يعقلون - لقوم. يتفكرون - للعالمين - لقوم يسمعون -
وللقارىء ان يرجع على سبيل المثال لا الحصر إلى سورة آل عمران والبقرة والروم ٠
ويمزج الإسلام العلم بالتقوى ويشيد بالعلماء ويرفع منزلتهم ويفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون حيث يقول سبحانه : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (١) ويقول تبارك وتعالى *إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور * (2)
اذن كان لابد أن أومن بالإسلام ، لأنه فى الوقت الذى تناصب فيه الكنيسة أصحاب الفكر والنهضة العلمية العداء ، نجد الإسلام يشجع العلم والعلماء ويقف بجوارهم ويؤازرهم ويأخذ بيدهم إلى مواطن الاستزادة، وذلك واضح فى اشادة القرآن بالعلماء واشادة نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم حين يرفع منزلة

العلماء بقوله : (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب) ٠
آمنت بالإسلام لانه قرن العلم بالعمل لقول الله عز وجل * ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا *(٣) والمقصود بالعمل فى الإسلام العمل الدينى والمدنى والصناعى والزراعى لقوله تعالى : * لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون " (٤)

---

(١) الزمر ٠ (٢) فاطر ٠
(٢) فصلت ٠ (٤) يس

ولقول الرسول صلوات الله عليه فى حديث رواه الإمام أحمد *إن اشرف الكسب كسب الرجل من يده * ٠ وفى الوقت الذى حض الإسلام فيه على العمل جعل العامل مسئولا عن عمله لقوله تعالى : (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ٠ ونظير هذه المسئولية قد حفظ الإسلام للعامل حقه فحفظ كرامته وذلك ما رواه البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال * إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم * كما أوجب أن يكون العمل على قدرطاقة العامل لقوله عليه الصلاة والسلام كما روى البخارى ومسلم * لا تكلفوهم مالا يطيقون* كما حفظ للعامل حقه فى الأجر سواء كان ذكرا و أنثى لقول إله تعالى فى سورة آل عمران : * إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أوأنثى) ولقول الرسول صلوات الله عليه فى حديث ابن ماجه * اعطوا الأجير حقه قبل ان يجف عرقه * كما لم يغفل الإسلام حق موظف الدولة فقد روى أحمد وأبو داود أن الرسول صلوات الله عليه قال * من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة * ٠
آمنت بالإسلام لانه جعل الأمر شورى بين الحاكم والمحكوم لقوله تعالى فى سورة آل عمران : (وشاورهم فى الأمر فإذا

عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) ، وفى سورة الشورى : (وأمرهم شورى بينهم) .

كما أباح الإسلام النقد الذاتى فى حدود الادب الأسلامى ، وأول من ضرب هذا المثل عمليا الخليفة الأول بوبكر حين قال خطبته الأولى بعد توليه الخلافة : إن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتموني على باطل فسددونى .

آمنت بالإسلام ,لانه طهر المجتمع من المفاسد التى كانت سائدة قبل مبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم وتتلخص فيما قال جعفر بن أبى طالب لملك الحبشة عندما استدعاه ليتأكد من قول سفيرى قريش عمرو بن العاصى وعبد الله بن أبى ربيعة اللذين بعث بهما قومهما ليردوا المهاجرين من المسلمين الأوائل إلى الحبشة وسأله : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ .

فكان جواب جعفر * أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية.. نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوإر ، ويأكل القوى الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث لله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . . . فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده " (١)

---

(1) كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل

أخى القارىء معذرة لأن المجال لا يتسع للحديث عن تنظيم الإسلام للأسرة والمجتمع والحياة الاجتماعية والاقتصادية والحريات بأنواعها والمساواة وغيرها ، لأن هذا الكتاب له نهج خاص وكما سبق القول إن الإسلام يحتاج لمجلدات وقد (خرجت من يوم بعث الرسول إلى الآن مجلدات لم تف الإسلام حقه ٠ ولكن ما ذكرت جزء من جزء من بعض الإجابة على سؤالك ٠ يسعدنى هنا أن أوضح لأخى القارىء : أن لى كتابا متواضعا عنوانه * الأديان فى كفة الميزان * بمكتبة الخانجى. أمام قسم عابدين بشارع عبد العزيز) قارنت فيه بين اثنى عشر دينا وبين الإسلام تناولت فيه العقيدة ، والإنسان والأسرة ، والمجتمع ، والمساواة الإنسانية والاقتصادية والحريات المدنية والسياسية والدينية والفكرية فى كل دين على حده ثم قارنتها بالإسلام فرجحت كفة الإسلام ٠ جعلنا الله جنودا مخلصين للإسلام نفنى فيه ونحيا من أجله ونموت عليه إنه نعم المولى ونعم النصير ٠

كلمة لابد منها

بعد آخر كلمة أفاض الله على بها فى هذا الكتاب وجدت نفسى فى صراع بين الواجب وعوامل متعددة ، اذ مرت بى فترة عصيبة شلت من نشاطى العملى والفكرى حتى هيأ الله لى رجال آمنوا بربهم وبحق الإنسانية عليهم فغمرونى بفيض مآثرهم التى أعادت إلى نشاطى مما جعلنى أوفق بين الواجب والعوامل ، فلم أذكر أسماءهم واتجهت إلى من يعلمهم داعيا اللهم أكرم من أكرمنى لأنى لا أستطيع رد الجميل وتركت لك حسن مجازاتهم ، فجزاؤك خير الجزاء ٠